

www.Olamaa.net

المجلس الإسلامي العام

Olamaa Islamic Council



دائرة الثقافة



اختتام العمر

الشيخ أبو عبد الله علي حسين

اختتام العمر

للشيخ أبوب علي حسين

هُويّة الكتّيب

الاسم:	اغتنام العمر
التأليف:	الشيخ أيوب علي حسين
الإصدار:	المجلس الإسلاميّ العلمائيّ - دائرة الثقافة
التدقيق اللغوي:	الشيخ حسين الطويل
الطبعة:	الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠١٣م
تصميم وإخراج:	محسن الخباز

صلى الله عليه وسلم

الفهرس

٧	تقديم
١١	المقدمة
١٥	العُمر
١٨	السعادة في اغتنام العمر المتبقي
٢٠	إمكانية اغتنام العمر
٢٢	الفكر والحزم طريقان لاغتنام العمر
٢٤	سلاح الفكر
٢٨	سلاح الحزم والإرادة
٣٠	طُرُق تقوية الحزم
٣٠	الطريقة الأولى: اعرف هدف الخليقة
٣١	الطريقة الثانية: انظر لعاقبة أفعالك
٣٢	الطريقة الثالثة: قارن واقعك الفعلي بالكُمل
٣٤	الطريقة الرابعة: تذكر أنك ميتٌ لا محالة
٣٤	الطريقة الخامسة: الحياء من الله
٣٥	الطريقة السادسة: تذكر أهوال يوم القيامة والبعث والحساب
٣٨	الطريقة السابعة: التَّفكر في شدة حبِّ الله لنا
٤١	تفعيل سلاح الحزم والإرادة
٤٤	خطط لاغتنام عمرك

٤٦	معرفة الهدف
٤٩	لصوص العمر
٥٠	المعصية
٥٣	الانشغال بالمباحات الأوّلية
٥٧	التسويق والإهمال
٦٢	تَرَكَ الأهم والانشغال بالمهم
٦٥	الرّياء
٦٩	بذور اغتنام العمر
٧١	القيام بالواجبات
٧٣	اجن من المباحات الأجر والثواب
٧٦	ليكن خيارك الأكمل والأتم
٧٨	اختيارات نوعيّة من الأعمال
٨١	ليكن عطاؤك مستمرًا وإن كنت ميتًا!
٨١	الباب الأوّل: الصّدقة الجارية
٨٢	الباب الثّاني: ما يطابق الصّدقة الجارية في الأجر
٨٢	١. أنّ تسنّ سنة حسنة
٨٣	٢. اغتتم النّفحات الرّبانية
٨٦	المشارطة والمراقبة والمحاسبة
٨٩	مقتضيات زيادة العمر
٩١	الخاتمة
٩٤	المصادر والمراجع

تقديم

إنَّ الإنسانَ في هذه الحياة لم يُخلق سدى، بل خُلق ضمن إطار هندسة هذه الحياة الدَّقيقة النَّظم؛ ليعيش كباقي المخلوقات تحت نظام متكامل في هذا الوجود الرَّحْب، وحتى يبلغ الغاية التي من أجلها وُجد، فيجدر به أن يسلك طريق أولئك الأطهار عَلَيْهِ السَّلَامُ الذين هم مشاعل الدُّرب، ومهندسو الطُّريق نحو محراب العبادة؛ استثماراً لحركة التَّسامي التي خُطوا قواعدها من لدن ربِّ السَّمَاوات والأرضين.

إنَّ خارطة طريق التَّسامي والسُّلوك إلى الحقِّ تبارك وتعالى لا يعرف تفاصيلها سوى أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ الذين هم سفن النُّجاة في اللُّجج الغامرة، والذين لم يعرفوا غير ربِّ الله تعالى وحدَه، شريعة ومنهاجاً، ولذا كان لهم السُّبْق في ترسيم الخطى، وتحديد الحدود وفق بوصلة السَّمَاء، لا يحددون عنها قَيْدٌ أَنْمَلَةٌ؛ من أجل تفعيل المَلَكَّات والاستعدادات المفاضة من آلاء الرَّحْمَن في طريق الخير والرضوان، فكان نهجهم اللاحِب في استثمار سنوات العمر التي تترى رحمةً على هذا الإنسان الذي لم يخلق عبثاً، بل خُلق من أجل غاية سامية، وهدف نبيل بيَّنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١).

وهذه الغاية لا يصل إليها الإنسان إلا إذا اغتتم الفرصة التي منحها الله سبحانه وتعالى إيَّاه، والتي تعدُّ رأس ماله في الحياة ألا وهي هذا العمر المحدود، طويلاً كان أم قصيراً، والذي إن ضيَّعه أو لم يحسن استثماره خسر آخرته، ولم يستفد من دنياه، خصوصاً وأنَّ الموت يفاجئ الإنسان في آيةٍ لحظة دون أن يمهلَه؛ لتدرك

ما فات من عمره، كما قال لقمان الحكيم لابنه: «يا بني لا تؤخر التَّوبَةَ، فَإِنَّ الموت يأتي بغتة».^(١)

ومن هنا، فقد اغتنم كاتبه - سماحة الشَّيخ أيوب علي حسين - الفرصة؛ ليسلِّط الضَّوء على طريق الاستثمار الحسن، وفق لغة تتَّسم بالوضوح والبيان، وتأخذ على عاتقها التَّدليل بالآيات والأحاديث، بل والشُّواهد الحيَّة من علماء وسالكي هذا الدَّرب ترسيماً وتشويقاً لما يُبتَغى الوصول إليه.

والمجلس الإسلاميِّ العلمائيُّ - وضمن سعيه؛ لتهيئة الإنسان نفسه لاستقبال شهر التَّوبَة والغفران، شهر رمضان المبارك -، قد دأب على تسمية آخر أسبوع من شهر شعبان بأسبوع نداءات التَّوبَة، حيث يتكثف فيه العمل على مستوى العبادة، والدُّعاء والمناجاة؛ من أجل التَّهيئة النَّفسية والرُّوحية؛ لاستقبال الشَّهر الكريم، مغتتماً هذه الفرصة؛ ليقدم زاداً مباركاً للمؤمنين يكون خيرَ معينٍ لهم في سعيهم نحو تهذيب أنفسهم وتهيئتها روحياً ومعنوياً لاستقبال شهر الله تعالى عملاً بقول أمير المؤمنين عليه السلام: «الْفُرْصَةُ تُمرُّ مَرَّ السَّحَابِ فَإِنَّتَهِرُوا فُرْصَ الْخَيْرِ».^(٢)

المجلس الإسلامي العلمائي

دائرة الثقافة

١. بحار الأنوار ١٣/٤٢٦، العلامة المجلسي، تحقيق: عبد الرحيم الرياني الشيرازي، الطبعة الثالثة المصححة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٢. شرح نهج البلاغة ٥/٢٤٨، ابن ميثم البحراني، تحقيق: عني بتصحيحه عدة من الأفاضل، وقبول بعدة نسخ موثوق بها، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٦٢ ش، الناشر: مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي، الحوزة العلمية، قم - إيران.

الإهداء

إلى خيرة أوصياء الله، وأقرب العباد لرسول الله،

إلى مولى الموحّدين وأمير المؤمنين،

أهدي هذا العمل المتواضع،

وأرجو منه التَّفضُّلُ

بالقبُول.

المقدّمة

يمكن تقسيم المؤمنين بالله وعالم الغيب الى قسمين رئيسين:

القسم الأوّل: هم المؤمنون المستعدّون ليوم اللّقاء

هؤلاء تراهم يعيشون في دار الدُّنيا قبل الآخرة براحة وطمأنينة قلبية لا نظير لهما، وذلك لما حملوا في قلوبهم من اعتقادات حقّة، جعلتهم يستشعرون بالأمن والأمان والاستقرار في كل أحوال الدُّنيا وتقلباتها من رخاء أو شدّة، لاعتقادهم بأنّ الله تعالى هو المتصرّف في الكون، فاطمأنوا أنّه لن يصيبهم إلّا ما كتب لهم الرّحمن الرّحيم والخبير الحكيم.

وقد كان لهم نصيب آخر وخصوصيّة أخرى في الدُّنيا، وهي أنّك تجدهم في أوج وقمّة خشوعهم وبكائهم بين يدي الله تعالى يعيشون الفرحة القصوى والسُّرور غير المتناهي، لما يرون من عظيم لطف الله بهم، واختيارهم واصطفاءهم من سائر الخلق؛ لشرف مناجاته، ودعائه، والأنس به سبحانه وتعالى.

وأما في الآخرة، فهؤلاء لهم الجزاء الأوفى، جرّاء حسن استعدادهم، وحملهم الزّاد الكافي والواظ من دار الفناء الى دار البقاء، إذ كان همّهم الأوحد في الدُّنيا هو نيلهم أعلى مراتب رضا الله تعالى والرُّضى لديه، فقد ترجموا عقائدَهم الحقّة بأعمالهم الجوارحيّة والجوانحيّة، فبدلوا كلّ ما بوسعهم للقاء الله وَعَلَىٰ، ولم يفوتوا لحظة واحدة أو فرصة ساحنة إلّا وتزوّدوا منها ليوم اللّقاء، لذا تجد الفرحة تغمرهم بما لا يمكن وصفها، لما يجدون من عظيم لطف الله وَعَلَىٰ، وجزيل

نعمه المفاضة عليهم، وقد امتدحهم الله سبحانه تعالى قائلاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ❖ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (١).

القسم الثاني: المؤمنون غير المستعدين ليوم اللقاء

أما هؤلاء فتراهم في دار الدنيا قبل الآخرة يعيشون الاضطراب والخوف في منعطفات الحياة، وفي السراء أو الضراء، ففي السراء يخشى فوت ما بيده، وفي الضراء لما هو فيه من ضرر وبلاء، ولم يكن لهم نصيب يذكر من موائد لطف الله، وكرمه بالالتداد والأنس به سبحانه.

وأضف على ذلك: إنهم كلما نظروا إلى عالم اللقاء والوفادة على الله هيمن عليهم الخوف والاضطراب من ذلك اليوم، لعلمهم بالوجدان أنهم لم يستعدوا لما هم وافدون عليه من حساب وجزاء.

وأما في الآخرة، فحدثت بلا حرج من المصائب والويلات التي تعتر بهم؛ لعدم استعدادهم الكافي، أو قلة زادهم.

لذا حرصاً منا لعدم وقوع ذلك على المؤمن، شرعنا بتدوين هذا الكتاب؛ ليفتنم المؤمن عمره لما ينفعه، ونبيِّن له أهميَّة رأس المال هذا، ومن ثمَّ نذكر له الموارد التي لا ينبغي صرف العمر فيها، أو ينبغي ذلك، ومواضيع أخرى تصبُّ في اغتنام عمره بالنحو الأكمل والأتم، مراعين قدر المستطاع التسلسل المنطقي في طرح الأفكار والمواضيع.

١. البينة: ٧-٨.

أَسْأَلُ اللّٰهَ تَعَالَى أَنْ أَكُونَ قَدْ وَفَّقْتُ لِبَلُوغِ ذَلِكَ، بِرُغَةٍ سَهْلَةٍ بِسِيْطَةِ تَنَاسُبِ
المستوى الفكريِّ لشبابنا الأعزاء؛ ليكون الكتاب منطلقاً حسناً لهم؛ للانطلاق نحو
اللّٰه تَعَالَى، واغتنام أعمارهم.

ومنه تعالی نستمدُّ العون، والتَّوْفِيقَ، والسَّدَادَ.

الشيخ أيوب علي حسين

١٧ ربيع الأول ١٤٣٤هـ

العُمر

من جملة أعظم النعم الإلهية على الإنسان والتي هي في الواقع رأس ماله الحقيقي الذي يشتري به سعادته أو شقائه في النشأتين ، هو ما تفضل به سبحانه وتعالى علينا بعمرٍ يمتدُّ في الغالب إلى سنين وعقودٍ من الزمن، فهذا العمر هو رأس المال الحقيقي لكلِّ فردٍ منَّا؛ لنيل السعادة والنجاح، ولكن من المؤسف جداً أن نجد الكثيرين منَّا زاهدين تمام الزهد فيه، والقلَّة من النَّاس من يعي ذلك، ويعملون على اغتنامه كالأولياء والمبدعين والمتميزين في الحياة فهم من عرفوا حقيقةً - كما سيُتضح في الأبحاث الآتية - قيمته، فاستفادوا، واغتتموا من أعمارهم التي أمهلهم الله تعالى في دار الدُّنيا.

وعليه، فبقدر اغتنام الإنسان لعمره بالشكل الإيجابيِّ يكون بذلك القدر دون نقصية متميزاً وموفقاً في الحياة، بل يتعدى ذلك؛ لنيل التَّميُّز في النشأتين معاً.

وحيث إنَّ أكثر النَّاس والغالبية السَّاحقة منهم لا يستثمرون هذه النُّعمة الربَّانية، تجدهم يعيشون ويموتون من دون أن تكون لهم بصمة واضحة في التاريخ، فيعيش نكرة ويموت نكرة أيضاً!

أمَّا المغتتمون لأعمارهم، والعارضون لقيمة أنفاسهم، تجد أنَّ التاريخ يأبى إلا أن يذكرهم بتمجيدٍ وتعظيمٍ، بل يتشرف بذكر أسمائهم، وعطائهم.

ومن هنا علينا أن نختار لأنفسنا أحد هاذين الصَّنَفين، وعلى إثره ننطلق على المسار الذي يوصلنا إلى مبتغانا ورغبتنا من السَّعادة أو التَّعاسة.

ولا أتصوّر وجودَ عاقلٍ وهبه الله تعالى العقلَ، وزرع في فطرته بذرة حبِّ الكمال والإبداع، يرغب أن يكون نكرةً، ويعيش تعيساً، ويزهد أن يكون من المتميّزين والأولياء وأصحاب الكمال والإبداع.

فبحكم العقل السليم، والفطرة السليمة لا بدّ للرأغب في طيّ الكمال والسعادة من اغتنام عمره بالشكل الأفضل والأكمل، وهذا ما يجعلنا نستعرض جملة من الروايات، والحكم الواردة؛ لنقف، ونعرف القيمة الحقيقية لـصرف لحظات أعمارنا التي منّ بها الباري علينا؛ لنعيش وعياً كاملاً للاستفادة ممّا بقي منها.

ورد عن مولى الموحّدين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «نفسُ المرء خطاه إلى أجله».^(١)

أي أنّ كلَّ نفسٍ تتنفسه في الليل والنهار، هو بمثابة خطوة بعد خطوة تقترب للموت والمنيّة!

وبعبارة أخرى: نحن بكلِّ نفسٍ نتنفسه نبتعد من الحياة، ونتقرب إلى الموت والرّحيل عن عالم الفناء، فمخزون أعمارنا وأنفاسنا مع كلِّ لحظة تمرّ علينا ونتنفس فيها هو استنزاف لرصيدنا في دار الفناء، ونقلّ من رصيدنا بالبقاء في دار الفناء.

وفي خطاب آخر له عليه السلام يبيّن هذه الحقيقة بأسلوب ثانٍ، فقال: «إنّما أنت عدد أيام، فكلُّ يوم يمضي عليك يمضي ببعضك، فخفض في الطّلب، وأجمل في المكتسب».^(٢)

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٧٠، ح ١٣١، ص ١٢٨.

٢. عيون الحكم والمواعظ، الشيخ علي بن محمد الليثي الواسطي، ص ١٧٨.

وقال ﷺ أيضًا: «ما أنقضت ساعة من دهرك إلا بقطعة من
عمرك». (١)

من هنا علينا أن نراقب رصيد أعمارنا في الحياة والذي يهدر من غير
اختيارنا؛ كي لا نعيش الحسرة والندامة في يوم لا تنفعنا الحسرة والندامة.

١ . عيون الحكم والمواعظ، الشيخ علي بن محمد الليثي الواسطي، ص ٤٧٧.

السَّعَادَةُ فِي اغْتِنَامِ الْعَمْرِ الْمَتَّبِقِيِّ

قد يهيمن الحزن على الإنسان ويتألم حينما تنكشف له قيمة عمره وهولم يستفدَ منه الاستفادة الصَّحيحة والكاملة، وقد يضجر على ما فاته من المصالح والخيرات، ولما أهدر من رأس ماله وثروته الحقيقة فيما لا ينبغي، وهنا ينبغي أن نقول له: إنَّ الهمَّ والضَّجَرَ لن يخلقا لك السَّعادة المنشودة، بل إنَّ هيمنة ذلك لا يزيدك إلاَّ خساراً وضياعاً، والحلُّ إنَّما يكمن في استثمار اغتنام العمر المتبقي، وهذا هو الطَّريق الصَّحيح والأُنجع الذي ينبغي اختياره والسَّير فيه، بل عليك الاتِّعاض وأخذ العبرة ممَّا مضى لما بقي، فـ«لو اعتبرت بما أضعت من ماضي عمرك لحفظت ما بقي»^(١) كما ورد عن مولى الموحِّدين عليه السلام، بل يمكنك أن تحزن وتتضجر أيضاً على ما فاتك من العمر، ولكن احزن - إنَّ شئتَ - حزناً وألماً ايجابياً لا سلبياً، والإيجابي يكمن في إعطائك لنفسك دفعة قويَّة نحو الأمام، والحرص على عدم تضييع الوقت المتبقي من العمر، لا أن تستسلم لحزنك وضجرك فتضيع المتبقي منه أيضاً.

وهناك بشارات مولوية وشرعية تعطي الإنسان الأمل والحركة والتفاؤل نحو المستقبل؛ لاستثمار المتبقي من العمر مهما كان الماضي مظلمًا ومخزياً، ومن جملة تلك المبشرات والدوافع الشرعية: لاستثمار المتبقي من العمر ما يلي:

١. قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٢)، فهذه الآية ونظيراتها تعطي الأمل بأعلى

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٢٢، ص ٥٢٩.

٢. سورة الفرقان، الآية ٧٠.

درجاتها، وحركة دافعة لكلٍ راغب لتغيير ماضيه الأسود إلى ماضٍ مشرق، ومستقبل زاهر، حيث يستفاد من الآية الشريفة أن مَنْ سعى بصدقٍ وحزمٍ في تغيير ذاته نحو الكمال الإلهي المنشود لا يجزى بغفران ذنوبه فحسب، بل يبذل الله بلطفه وكرمه تلك الذنوب السوداء إلى حسنات نورانية، وليس ذلك العطاء إلا لكون الله تعالى غفور رحيم لطيف بعباده.

٢. عن رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عَمْرِهِ لَمْ يَأْخُذْ بِمَا مَضَى مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عَمْرِهِ أُخِذَ بِالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ».^(١)

وَلَنِعْمَ مَا قِيلَ:

الدَّهْرُ سَاوَمَنِي عَمْرِي فَقُلْتُ لَهُ مَا بَعْتُ عَمْرِي بِالْدُنْيَا وَمَا فِيهَا
ثُمَّ اشْتَرَاهُ بِتَدْرِيجٍ بِلَا ثَمَنِ تَبَّتْ يَدَا صَفْقَةٍ قَدْ خَابَ شَارِيهَا^(٢)

١. الأمالي، الشيخ الطوسي، ج٨، ص ١١١.

٢. محاسبة النفس، الشيخ إبراهيم الكفعمي، ص ١١٧.

إمكانية اغتنام العمر

كان العلامة البرغاني عالمًا، متعدد الأبعاد، وقد ترك خلفه العشرات من الكتب في مختلف العلوم، هذا العالم الجليل كان يقول: أنا حُجَّةٌ مَنْ حُجَّجَ الباري وَعَلَّمَ يوم القيامة على طلاب العلوم.

ثمَّ يشرح ذلك بقوله: قد يُؤتى يوم القيامة ببعض الطلاب، فيقال لهم: لماذا لم تواصلوا التَّعلُّم إلى المراتب العليا في الحياة الدنيا؟، فيعتذرون بالفقر، وقلة ذات اليد، فيطلب منِّي ملائكة الحساب أن أدلي شهادتي، فأقول: يا رب كنتُ فقيرًا إلى درجة أنني لم أكن أملك من المال بمقدار أن اشتري شيئاً بسيطاً من الزيت لأستضيئ به، فكنْتُ أخذ الكتب إلى حمَّام المدرسة، وأجلس هناك، وأقرأها، في مختلف فصول العام، بما فيها الشتاء القارس.

ثمَّ يُؤتى بطلاب آخرين، فيسألونهم عن سبب تخلفهم عن الدِّراسة؟، فيقولون: لقد ابتدأنا التَّعلُّم متأخرين، فيؤتى بي، فأقول: يا رب، أنا بدأتُ تعلُّم القراءة والكتابة وعمري ثلاثون عامًا!

ثمَّ بأناس آخرين، ويُسألون كما سُئِلَ مَنْ سبقهم، فيقولون: كانت مشكلتنا أننا لم نزودُ بذكاءٍ وقاد، فقد كنَّا دون غيرنا في الفهم والإدراك، فيؤتى بي فأقول: يا رب، أنا كنتُ ضعيفاً جداً في الفطنة، فكنْتُ أحتاج إلى مراجعة كلِّ درس ثلاث أو أربع مرَّات حتَّى أدرك معناه ومغزاه.

ويضيف: أنا بدأتُ الدِّراسة متأخرًا جداً، وكنْتُ فقيرًا، لم يكن في الفقر أحدٌ أفقر منِّي، وقد مضى عليَّ برهة لم أقدر على تدبير سراج، فكنْتُ أقرأ على

سراج بيت الخلاء، وأما في قلّة الحافظة فلم يكن أسوأ منّي، كنت أضلُّ عن بيتي، وأنسى أسماء ولدي، وابتدأت بتعلُّم حروف التهجّي بعد مضي ثلاثين سنة من عمري، وقد بذلت مجهودي حتّى منّ الله تعالى عليّ بما قسم لي، فكيف لا يستطيع من هو أفضل منّي فهماً، وأكثر غنى، وأحفظ ذاكرة، أن يواصل تعلّمه حتّى يُحقّق ما ربه»^(١)!

إنّ هذه القصة الواقعيّة لرجلٍ عظيمٍ لحجّة بالفعل علينا، فهذه القصة تدلُّ بوضوح أنّه يمكن للإنسان اغتنام عمره، مهما كانت الصّعاب والمشاكل أمام الإنسان، فليس أمام من يريد تغيير حياته نحو الأفضل؛ ليغتتم ما تبقى من عمره إلا أن يسخر طاقاته نحو هدفه المنشود، ويشمّر عن ساعديه بسلاح الفكر والحزم والإرادة؛ ليجد بعد حين ثمار عمله وجهده، فالى ذلك السّلاح.

١. أنت أيضاً يمكنك النجاح، السيد هادي المدرسي، ص ٤١.

الفكر والحزم طريقان لاغتنام العمر

يمكننا القول: إنَّ المباحث المتقدِّمة كانت بمثابة المقدمة والتَّمهيد لهذا البحث المصيريِّ في حياة الإنسان، إذ لا يكفي لنا؛ لنيل السَّعادة، وتحقيق أهدافنا معرفة قيمة أعمارنا، والعلم بضرورة اغتنام العمر، وإمكانية تغيير المسار نحو الأكمل، أو وقوفنا على قيام بعض العظماء بذلك في أواسط أعمارهم، فهذه الأمور والمعلومات تزرع في قلوبنا الشُّوق والرَّغبة للتَّغيير، ومعرفة إمكانية ذلك، ولكن ينبغي أنْ نعلم - علمًا لا يوشوبه الشُّكُّ أو الرَّيب - أنَّ صرف وجود الرَّغبة في النفوس لا تصير الإنسان ناجحًا وسعيدًا، لذا تجد أكثر النَّاس بل كلهم إلا مَنْ شدَّ وندر، يرغب ويحب السَّعادة والكمال والإيمان، ويطمح في الإبداع والتَّفوق، ولكن مع ذلك تجده واقفًا محلِّه أو شبه واقفٍ، وسرُّ ذلك، هو أنَّه لم يشمر بعدُ عن ساعديه، وينتظر الفرج، وينتظر السَّعادة والنَّجاح أنْ يطرقا بابه، وهذا وهمٌ وخيالٌ، فالسَّعيد مَنْ يخلق فرص السَّعادة، والتَّعيس مَنْ ينتظر السَّعادة أنْ تطرق بابه، فكان عرض عرض المواضيع السَّابقة إيجاد تصوُّرٍ أوَّلِيٍّ لقيمة العمر؛ لتشمُر أيُّها العزيز، عن ساعدك؛ لتخلُق لنفسك فرص السَّعادة التي تريدها وتطمح إليها، وتخلق بجهدك وإرادتك الصُّلبة الحديدية كلَّ ما تنشده من كمال وسعادة وإيمان.

واعلم أنَّ الله تعالى وععدك وععد صدق وحق لا خُلف فيه حيث قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُعَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾^(٢)، وقال عزَّ من قائل: ﴿وَأَنَّ

١. سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

٢. سورة الرعد، الآية ١١.

لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ❖ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ❖ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿١﴾
فلا بدَّ من بذل الجهد والطَّاقة، وتحمُّل المشاق؛ لنيل الفيض الإلهيِّ، وتحصيل
هاديته ورعايته لك، وما لم تغيِّر من واقعك وذاتك، فلا تترقَّب الكمال والنَّجاح
والإيمان أنَّ يطرقوا بابك، إذ ليس للإنسان إلا ما سعى إليه بجده واجتهاده،
وسوف يرى نتائج جهوده وثمره تحمُّله المشاق عاجلاً أم آجلاً.

وقد تسأل بعد ذلك: فكيف السَّبيل نحو التَّغيير والسَّعي نحو الكمال
واغتنام العمر المتبقي؟

والجواب باختصار: عليك باستخدام سلاح الفكر والحزم.

فإليك التَّفصيل فيهما.

١. سورة النجم، الآيات من ٣٩-٤١.

سلاح الفكر

سلاح الفكر والتأمل من جملة أقوى الأسلحة التي يمكنك من خلالها إيجاد طفرة نوعيَّة في كيانك ووجودك على جميع الأصعدة من قبيل: الروحيَّة، والسلوكيَّة، والإيمانيَّة، والاجتماعيَّة، وغير ذلك، لذا تجد شدة تأكيد المولى سبحانه في كثير من خطابه لنا مبرزاً أهميَّة التفكُّر والتَّعقُّل والتَّدبُّر، إذ أنَّ هذه الأمور هي منشأ الأساس لطفرة الإنسان نحو الكمال الحقيقي المنشود، ومنشأ لتحرُّره من قيود عاداته القديمة والسُّلبيَّة والتَّخلُّق بخلق الكُمَّل والمبدعين، وبدء حياة جديدة ملؤها الصَّواب والكمال، فمثلاً تحوُّل المشرك الجاهليُّ إلى الإسلام واعتناقه له والفناء فيه، وتحوُّله من سلوكه السُّلبيِّ الانتقامي إلى سلوك إيجابيٍّ مسالم متميِّز لم يكن لولا أنَّه تسلَّح بسلاح الفكر والتَّأمُّل، فظنَّ حُسن هذا، وقُبِّح ذلك.

وقد سألتُ شخصياً أحد أعظم رجالات بلدي - والذي يعد مفخرة العلماء والأتقياء فيه - عن سر شخصيَّته هذه، فأجابني بتواضع: إنَّ كان لي شيئاً من التَّوفيق والنَّجاح في هذه الحياة، فهو رهن تأمُّلي وتدبُّري الكثيرين في الحياة، وما يؤوِّل إليه عمري في آخر المطاف، حيث إنَّ هذا التَّأمُّل والتَّفكُّر يعطيان النَّفس طاقة رهيبة يُسهِّلان عليَّ تحطِّي الصُّعاب، وأقاومها بكلِّ طاقتي، وبروحيَّةٍ عاليَّةٍ. وحينها عرفتُ قيمة تلك الخطابات الشَّرعيَّة، ومدى عمقها وسعتها، والتفتُّ إلى كم نحن مقصرون في هذا الجانب.

من هنا، متى ما أردنا تغيير واقعنا من خلال اغتنام عمرنا المتبقي والسعي نحو الكمال، فعلينا أن نغيّر نمط حياتنا في كيفية تعاملنا بعملية التفكير، وإعطاء هذا الأمر نصيبه الأوفر، فقد قيل في الحكمة: «إذا أردت أن تكون عظيمًا، فقلد العظماء والتأجحين»^(١)!، فينبغي لنا أن نقلد هؤلاء الكبار لا سيما في منشأ امتيازهم والتأسي بهم؛ للانطلاق نحو الكمال الخُلقي والإبداعي، فإنَّ أوَّل طريق الإبداع والنَّجاح هو تقليدهم، لا سيما في الجوانب الجوهرية والضرورية كالنتفكر، والذي يحتاج إليه كلُّ منشدٍ للكمال والنَّجاح؛ ليغتتم عمره المتبقي.

وهذه المسألة أكدت عليه الروايات، فعن الإمام عليٍّ عليه السلام أنه قال: «إذا قدمت الفكر في جميع أفعالك حسنت عواقبك في كلِّ أمر»^(٢).

وعنه عليه السلام: «من طالت فكرته حسنت بصيرته»^(٣).

وعنه عليه السلام: «لا تخل نفسك من فكرة تزيدك حكمة، وعبرة تفيدك عصمة»^(٤).

إذًا، يستفاد من هذه الروايات وغيرها أن الطَّريق لحسن العاقبة، والنَّجاح، واغتنام العمر هو تقديم الفكر على العمل، وعدم الغفلة، وأن إدمان التَّفكُّر منشأ لانجلاء البصيرة لدى الإنسان، فيرى الأمور كما ينبغي، فيزداد الإنسان بصيرةً في الدُّنيا وعبرة تعصمه من الانحطاط والتَّسافل، فيكون ذلك خير طريق وسبيل لاغتنام العمر المتبقي.

١. تعلم كيف تنجح (عوامل النجاح): السيّد هادي المدرسي ج٢، ص٢٩.

٢. سوف تجد أيها القارئ العزيز، مضمون هذه الحكمة وجوهرها فيه، كما أنصحك بمطالعة الكتاب لا سيما مبحث (قلد التأجحين)، فإنه مفيد جدًا.

٣. ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري ج٧، ح١٥٨٨٧، ص٥٢٨.

٤. ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري ج٧، ح١٥٨٨٩، ص٥٣٩.

٥. عيون المواعظ والحكم، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٥١٩.

ولكن قد تسأل: فيم أفكر؟

وكيف أفكر؟

والجواب - يطول فيه، ولكن باختصار -: فكر، وتدبر في النقاط التالية:

الأولى: ما ورد عن الإمام عليٍّ عليه السلام قوله: «إنَّ اللَّيْلَ والنَّهَارَ يعملان فيك

فاعمل فيهما، ويأخذان منك فخذ منهما»^(١).

لنتدبر هذه الحقيقة ونفكر فيها ملياً، فهذه حقيقة ثابتة ومرة، فالليل والنهار يمضيان بتقيص من مدة بقائنا في دار الدنيا، ونقترب إلى الأجل المحتوم شيئاً فشيئاً، لذا علينا أن نعي «إنَّ أنفاسك أجزاء عمرك، فلا تفضها إلا في طاعة ربك»^(٢) كما ورد عنه عليه السلام أيضاً.

وفي حكمة أخرى له عليه السلام: «مَنْ أفضى عمره في غير ما ينجيّه، فقد أضاع

مطلبه»^(٣).

فلا بد من الحرص الشديد في عدم ضياع العمر المتبقي للدنيا الدنيئة، وها

هي تستزفنا من دون اختيارنا.

الثانية: ما ورد عن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قوله: «كُنْ على عمرك أشح منك على

درهمك ودينارك»^(٤)، إذ أن العمر أغلى ثمناً من الدرهم والدينار، فلا ينبغي

صرفه إلا بما يساويه قيمة أو أغلى منه، وإلا كان العمر المتبقي سالك طريق

الخسران أيضاً.

١. عيون المواعظ والحكم، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص ١٤٤.

٢. عيون المواعظ والحكم، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص ١٤٩.

٣. عيون المواعظ والحكم، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص ٤٥٠.

٤. الأمانى، الشيخ الطوسي، ص ٥٢٦.

الثالثة: لا بدَّ من التَّفكير في مبادرة العمل، واستثمار العمر المتبقي فيما ينفعنا يوم لا ينفع فيه إلا مَنْ أتى الله بقلب سليم، وعدم التَّواني، ويدلُّ على ذلك نصيحة الإمام عليٍّ عليه السلام لنا، فقد رُوي عنه: «أَيُّهَا النَّاسُ، الْآنَ الْآنَ مَا دَامَ الْوَثَاقُ مَطْلَقًا، وَالسَّرَاحُ مَنِيرًا، وَبَابُ التَّوْبَةِ مَفْتُوحًا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجْفَّ الْقَلَمُ، وَتَطْوَى الصُّحُفُ».^(١)

وبيان آخر عنه عليه السلام: «إِنَّ مَاضِيَ عَمْرِكَ أَجَلٌ، وَآتِيهِ أَمَلٌ، وَالْوَقْتُ عَمَلٌ».^(٢)

أما كَيْفِيَّةُ التَّفكير، فسوف نشير إليها بنحو من التَّفصيل - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - تحت عنوان: «بذور اغتنام العمر».

١. ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري ج٦، ح١٣٩٠، ص٥٤٠.

٢. ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري ج٦، ح١٣٨٩٨، ص٥٣٩.

سلاح الحزم والإرادة

ورد في النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ: «إِنَّهُ يَفْتَحُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ عَمْرِهِ أَرْبَعَةَ وَعِشْرُونَ خَزَانَةً - عِدَدُ سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ - ، فَخَزَانَةٌ يَجِدُهَا مَمْلُوءَةٌ نُورًا وَسُرُورًا ، فَيُنَالُهَا عِنْدَ مَشَاهِدَتِهَا مِنَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ مَا لَوْ زُجَّ عَلَى أَهْلِ النَّارِ لِأَدْهَشْتَهُمْ عَنِ الْإِحْسَاسِ بِأَلْمِ النَّارِ ، وَهِيَ السَّاعَةُ الَّتِي أُطَاعَ فِيهَا رَبُّهُ ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ خَزَانَةٌ أُخْرَى فَيَرَاهَا مَظْلَمَةٌ مَمْتَنَةٌ مَفْرُوعَةٌ ، فَيُنَالُهَا عِنْدَ مَشَاهِدَتِهَا مِنَ الْفَرْعِ وَالْجَزَعِ مَا لَوْ قَسَمَ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ لَنْغَصَ عَلَيْهِمْ نَعِيمِهَا ، وَهِيَ السَّاعَةُ الَّتِي عَصَى فِيهَا رَبُّهُ ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ خَزَانَةٌ أُخْرَى ، فَيَرَاهَا فَارِغَةٌ لَيْسَ فِيهَا مَا يَسْرُهُ وَلَا مَا يَسُوؤُهُ وَهِيَ السَّاعَةُ الَّتِي نَامَ فِيهَا ، أَوْ اشْتَغَلَ فِيهَا بِشَيْءٍ مِنْ مَبَاهِجِ الدُّنْيَا ، فَيُنَالُهَا مِنَ الْغَيْبِ وَالْأَسْفِ عَلَى فَوَاتِهَا حَيْثُ كَانَ مَتَمَكِّنًا مِنْ أَنْ يَمْلَأَهَا حَسَنَاتٍ مَا لَا يُوَصَفُ ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿... ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ...﴾^(١)»^(٢)

لو لم يكن إلا هذا الحديث الشريف لكفى بالمرء أن يحزم أمره، ويفتنم المنتبهي من عمره، حيث هذا الحديث الشريف يشير إلى نقطة مهمة، وهي تصوير حقيقة ما تؤول إليه ساعاتنا التي نقضيها من الليل والنهار، وكيف تكون حالها وواقعها بالنظر إلى الملكوتية والغيبية في دار الآخرة، وتلك الساعات لا تخلو من حالات ثلاث، فهي: إما طاعة، فيستبشر بها حينها، وإما ساعة معصية، وإما ساعة فراغ قضاها في المباحات الأولى، وكلاهما حسرة على العبد في يوم الحسرة والندامة.

١. سورة التغابن، الآية ٩.

٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٧، ح ٢٦٢ ص ١٥.

فالبصير العاقل يغتتم البقية من عمره، فلا يضيع ساعاته ولحظاته فيما يؤول إلى الندامة والحسرة، ويشمر عن ساعديه بإرادة صلبة؛ ليقطف ثمار تبعه لحظة وفادته على الله تعالى، فحينها يصرخ المؤمن من أم رأسه مبتهجا مسرورا، إذ يجد ثمار إرادته، ونتاج مخالفته لنفسه وهواه، واغتنام عمره، فتصور أيها العزيز، ذلك المشهد من خلال المشهد القرآني، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَّ ❖ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّ ❖ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ❖ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ❖ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ❖ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ❖﴾ (١).

وأما الكسول غير المشمّر عن ساعديه والمهمل لأوقاته وساعاته، أو انشغل فيها بالمعاصي والمخالفات الشرعية لم يغتتم عمره، فيكون ماله كما حكى عنه الباري سبحانه في هذا المشهد: ﴿وَأَمَّا مَنْ أوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَّ ❖ وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِيَّ ❖ يَا لَيْتَنِي كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ❖ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهٗ ❖ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهٗ ❖ خُدُوهُ فَغُلُوهُ ❖ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ❖ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ❖ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ❖﴾ (٢).

فاختر لنفسك أيها العزيز، أحد هذين الطريقتين، فأحدهما يريد منك تغيير حالك وواقعك نحو الأفضل، والآخر يريد منك الكسل والخمول وترك إرادة التغيير، ثم انظر الى مستقبلك الحقيقي والأبدي ما أنت صانع به، والأمر لك.

وقد ترغب في تغيير واقعك، ولكن تسأل كيف السبيل لتقوية الإرادة والحزم في النفس؛ لتحظى بالفوز والتعظيم، وتغتتم من هذا العمر الفاني؟

واليك البيان.

١. سورة الحاقة، الآيات من ١٩-٢٤.

٢. سورة الحاقة، الآيات من ٢٥-٣٢.

طُرُق تقوية الحزم

هناك طُرُق وأساليب متنوّعة تختلف كلُّ طريقة عن الأخرى في قوّة تأثيرها من فردٍ لآخر لعوامل عدّة، منها: اختلاف البشر في نمط تفكيرهم وتوجهاتهم النّفسيّة والرُّويّة، والثّوابت المؤثّرة فيهم، مع أنّي أعتقد أنّ ما سنذكره من طُرُق لا تخلو كلّها من نسبة تأثير في النّفس وإنّ اختلفت في الشّدّة والضعف، ونشير بإيجاز لبعض منها مستفيدين هذه الطُّرُق من الشريعة الغرّاء، فخذ منها ما يناسبك أكثر، وتأمّل فيها بعمق؛ لتكون استفادتك منها أوفر، ومنه ويحجز نطلب العون والتّوفيق:

الطريقة الأولى: اعرف هدف الخليقة

أكثرنا - للأسف - لم يتوجّه إلى الهدف السّامي الذي خلّقنا من أجله في هذه النّشأة، أو على أقلّ تقدير ينسأه أو يتناساه، وهو: إننا خلّقنا في الدُّنيا؛ لنزرع فيها، ونجني ثمارها في الآخرة، فالدُّنيا طريق سعادة آخرتنا، ومهر وصالها، فهي غير مقصودة أوّلاً وبالذّات، ولكن الكثير منّا - للأسف - عمل في الدُّنيا للدُّنيا، ونسي نصيبه من الأخرى، فضيّع نصيبه من عالم البقاء بالانشغال بعالم الفناء، فانشغل بالوسيلة (الدُّنيا)، ونسي الهدف (الآخرة)، فساوى نفسه الشريفة بالحيوانات والعجماوات التي همّها علفها في عالم الدُّنيا^(١) إذ لا نصيب لها في الحياة الأخرى، ولذا تجد الكثير من النصوص الشريعية تذكّر الإنسان بحكمة وهدف خلق الدُّنيا؛ كي لا يغترّ بها، ولا يحطّ من منزلته السّامية، وتخبره بواقع الدُّنيا؛ ليشتمر عن ساعديه فيها؛ لينال نصيبه الأوفى في الأخرى، وممّا ورد عن

١. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو المرسله شغلها تقمّمها، تكثرش من أعلافها، وتلهو عما يراد بها، أو أترك سدى، أو أهمل عابثاً». نهج البلاغة ٧٢/٣.

رسولنا الكريم ﷺ في هذا الخصوص: «فليتزود العبد من دنياه لآخرته، ومن حياته لموته، ومن شبابه لهرمه، فإنَّ الدُّنيا خُلقت لكم وأنتم خُلقتُم للآخرة».^(١)

وعن الإمام عليٍّ ع: «إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا، وَابْتُلِيَ فِيهَا أَهْلُهَا؛ لِيُعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، وَلَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلُقْنَا، وَلَا بِالسَّعْيِ فِيهَا أُمْرُنَا».^(٢)

فإذا عرف العبد هذه الحقيقة عرف كيف يتصرّف في الدُّنيا، وبأيِّ همة عالية يعمل فيها، ولن تجده يصرف وقته وعمره في الدُّنيا الفانية إلا بقدر الضَّرورة.

الطَّرِيقَةُ الثَّانِيَّةُ: انظر لعاقبة أفعالك

تذكر مضمون رواية الخزائن الـ(٢٤) - التي تُفتح لأعمالك في كلِّ ساعة من ساعات ليلك ونهارك - ونظائرها، واعلم أنَّها واقعة لا محالة يوم العرض الأكبر على الله تعالى، فإنَّ هذا التَّذكُّر المستمرُّ يعطيك دافعًا قويًّا للعزم والحزم؛ لاغتنام عمرك المتبقي، كما ويجعلك حريصًا على وقتك وحدرك من كلِّ فعلٍ تريد القيام به، وقد روي عن الإمام عليٍّ ع: «مَنْ تَوَرَّطَ فِي الْأُمُورِ بِغَيْرِ نَظَرٍ فِي الْعَوَاقِبِ، فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلنَّوَابِغِ».^(٣)

إذا، فسرُّ ضياع أعمارنا، وعدم اغتنامنا بالتحوُّل الأتمِّ، أو ارتكابنا للمعاصي في الماضي، كان نتاج غفلتنا، أو تغافلنا عن مصير أفعالنا ونتائجها السُّلبِيَّة في المستقبل، ولكي لا نندم في مستقبل الأيام أيضًا، علينا أن نتأمَّل جيدًا في أوقاتنا وأعمالنا الحاليَّة والمستقبليَّة ونصرفهما في الأمور التي تنتج لنا السُّعادة

١- ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري ج٢، ح٥٣، ص٥٧٥، ص٢٨٦.

٢- نهج البلاغة، من كتاب له الى معاوية، ص٤٤٦.

٣- الكافي، الشيخ الكليني ج٨، ح٤، ص١٨.

لا التّعاسة، وهذا التّفكير والتّدبّر من حصّة تقوية الإرادة والحزم فينا.

الطريقة الثالثة: قارن واقعك الفعلي بالكمّل

جاء في كتاب «سيماء الصّالحين» أنّه قال أحد المقرّبين من الإمام الخميني (قدس سرّه):

١- في اللّيلة التي كنّا متّجهين فيها من باريس إلى إيران ... في الطّائرة قام الإمام؛ لأداء صلاة اللّيل، وكان يبكي بحيث إنّ مضيئي الخطوط الفرنسيّة، تعجّبوا، وسمعت أنّهم سألوا: هل هناك ما يؤذي الإمام؟

قلت: إنّها عادة الإمام في كلّ ليلة.

٢- عندما اعتقل الإمام، ونُقل من قم إلى السّجن في زمن الطّاغوت صلّي صلاة اللّيل بحالة، بحيث قال لي فيما بعد أحد من كانوا مع الإمام - الظّاهر أنّه العقيد العصار -: لقد تأثرنا كثيرًا بصلاة الإمام، وظلّ أحدنا - إلى طهران - يبكي.

٣- منذ خمسين سنة لم يترك الإمام الخميني (قدس سرّه) صلاة اللّيل، في حال الصّحّة، والمرض، في السّجن، في الأحوال الاعتياديّة، وأثناء النّفي، وحتى على سرير المرض كان يصليّ صلاة اللّيل!!

مرض الإمام في قم، وبناءً على أمر الأطباء كان ينبغي أن ينتقل إلى طهران، وكان الجو باردًا، وكان الثلج والمطر يتساقطان، وكان الجليد يغطّي الشّوارع، بقي الإمام عدّة ساعات في سيّارة الإسعاف، وبعد الانتقال إلى مستشفى القلب - وفي هذه الظروف - صلّي أيضًا صلاة اللّيل. (١)

١. سيماء الصّالحين، الشّيخ رضی مختاري، ص ١٣٥.

لعلك قبل أن تقرأ هذه المقتطفات اليسيرة جداً عن حياة هذا الرجل العظيم كنت راضياً عن نفسك في الجملة، ولكن بعد أن قرأتها اسمح لي أن أسألك هذا السؤال: هل أنت مرتاح من وضعك الإيماني الفعلي، ومن عبادتك؟ لا سيما إذا قارنته بمقام الشخصيات الربانية التي بلغت مقام العشق الإلهي؟
 طبعاً سيكون الجواب: لا.

إذاً، هل ترغب وتطمح أن تكون ممن ينتهج نهجهم؛ لتكون واحداً منهم بعد حين؟

فاستمع بتمام قواك العقلية والنفسية لما أقول:

اعلم، أنهم بشر أمثالنا تماماً، سوى أن الفرق الجوهرى بيننا وبينهم هو أنهم أرادوا - واقعاً - تغيير واقعهم، فسعوا للاستفادة من أوقاتهم ولحظاتهم بكل دقة وحرص، في حين أننا كنا غير مباليين بالأمر في أغلب الأوقات، بل راضون بما نحن فيه من وضع، فكانت نتيجة إرادتهم، وحزمهم لاغتنامهم لأعمارهم أن نالوا شرف الدنيا والآخرة، فكانوا في الدنيا عظماء، ويحشرون يوم القيامة وجهاء، وهذا مصير من حذا حذوهم، واقتدى أثرهم، ولنسح أن نكون منهم، أو قريبين منهم من خلال إدمان قراءة سيرة هؤلاء ومحاكاتها مع واقعنا؛ لتتولد لدينا حسرة إيجابية، مستلهمين الإرادة والحزم والهمة العالية منهم، ومن صمودهم أمام جميع منغصات الحياة، فهم حجة علينا يوم القيامة حيث أثبتوا لنا بأن الإنسان ممكن أن يصل الى مقام القرب والعشق لله، والأنس به (عزَّجلاً) بتفعيل الإرادة والحزم فيهم، وهذا ما تدلُّ عليه النصوص الشرعية، فعن الإمام علي عليه السلام: «الحازم من حنكته التجارب، وهذبته النوائب»^(١)، فاستسق التجربة من سيرة العظماء؛ لتكون عظيماً في مستقبل الأيام، أو قريباً منهم.

١. عيون الحكم والمواعظ، ص ٦٢.

الطريقة الرابعة : تذكر أنك مَيّت لا محالة

لتقوية الإرادة والحزم، ولاغتنام ما تبقى من آجالنا، من المفيد الالتفات إلى الموت الذي يطرق باب كل شريف ووضيع، وشيخ ورضيع، فكل من عليها فان، وهذه حقيقة آبية عن التغيير والتبديل، فأنت تعيش مرة واحدة على هذا الكوكب، وأعطيت فرصة واحدة؛ للتزود منها لدار البقاء، والفرصة هذه لن ولن تتكرر، وهذه الفرصة وسيلتك الوحيدة وسبيلك الأوحّد؛ لاختيار نوع حياتك السّرمدية والأبدية في تلك النشأة، ودرجتك التي تطمح فيها.

فمن خلال اغتنامك لفرصتك تستطيع أنّ تختار الجنة أو النار مقرّاً أبدياً لك، كما من خلال هذه الفرصة المتاحة إليك الآن، وبمقدار حزمك وإرادتك تستطيع أنّ تختار درجتك ومقامك فيهما، فإمّا في أعلا عليّين، وإمّا في أسفل سافلين، مع أنّ الأولياء والصالحين أبوا إلا أن يختاروا أعلى العليّين من الجنان، فلم يفتوتوا لحظة من لحظات الدنيا، فاختر لنفسك ما تريد بحزمك وإراتك، فقد ورد عن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال: «يا أيها الناس، إنّ أكيسكم أكثركم ذكراً للموت، وإنّ أحزمكم أحسنكم استعداداً له، ألا وإنّ من علامات التجايف عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والتزود لسكني القبور، والتأهب ليوم النشور»^(١)، فبقدر حزمك يكون مصيرك ومقامك، فانظر ما أنت صانع بحياتك السّرمدية.

الطريقة الخامسة : الحياء من الله

يمكنك تقوية الحزم والإرادة؛ لاغتنام عمرك من خلال زرع مزيد من الحياء في النفس من الله تعالى، وهناك طرق عدّة في هذا المجال منها: أنّ تعرف أنّ كلّ ما في الكون أوجده الله تعالى إليك، وسخره لخدمتك، وقضاء حوائجك الدنيوية،

١. بحار الانوار، العلامة المجلسي ج٧٤، ص١٧٦.

إِلَّا أَنَا - لِلْأَسْفِ الشَّدِيدِ - صرنا خادمين لها بدل أن تكون خادمة لنا كما خَلَقها الله سبحانه، بل الأكثر أسفًا والأدهى: إِنَّا بِنِعْمِ الْمَوْلَى نَعَصِي الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ، ولم نستحي من مقابلة إحسانه بإساءة اتنا، وهذا التَّصَرُّفُ والسُّلُوكُ من أقبح صور القبح كما لا يخفى عليك، جاء في الدُّعاء: «ولم يزل ولا يزال ملك كريم يأتيك عنَّا بعمل قبيح، فلا يمنعك ذلك أن تحوطينا بنعمك، وتتفضل علينا بآلائك، فسبحانك ما أحلمك وأعظمك وأكرمك مُبدئًا ومُعِيدًا، تتدست أسماؤك، وجل ثناؤك، وأكرم صنائعك وفعالك، أنت إلهي، أوسع فضلًا، وأعظم حلمًا من أن تقايسني بفعلي وخطيئتي، فالعفو سيدي سيدي سيدي»^(١).

والطَّرِيقُ الوحيد للخروج من هذا المأزق صَرَفَ عَمْرِكَ فيما يرضيه سبحانه وتعالى، وترنم بهذه الفقرة من الدُّعاء ونظرائه في خلواتك وسكناتك بغية بزوغ فجر جديد لحياتك مع الله تعالى.

الطَّرِيقَةُ السَّادِسَةُ: تَذَكُّرُ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ

عَنْ نُؤَيْرِ بْنِ أَبِي فَاخِخَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يُحَدِّثُ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يُحَدِّثُ النَّاسَ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بَعَثَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ مِنْ حَضْرِهِمْ عَزَلًا يَهُمَا جُرْدًا مُرْدًا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يَسُوقُهُمُ النُّورُ، وَتَجْمَعُهُمُ الظُّلْمَةُ حَتَّى يَقِفُوا عَلَى عَقَبَةِ الْحَشْرِ، فَيَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَرْدَحِمُونَ دُونَهَا، فَيَمْنَعُونَ مِنَ الْمَضِيِّ، فَتَسْتَدُّ أَنْفُسَهُمْ، وَيَكْثُرُ عَرْفُهُمْ، وَتَضِيقُ بِهِمْ أُمُورُهُمْ، وَيَسْتَدُّ صُجُجُهُمْ، وَتَرْتَفِعُ أَصْوَاتُهُمْ».

١. مصباح المتجهد، الشيخ الطوسي، ص ٥١٧.

قَالَ: وَهُوَ أَوَّلُ هَوَالٍ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قَالَ: فَيُشْرِفُ الْجَبَّارُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ فِي ظِلَالٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَيَأْمُرُ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَيُنَادِي فِيهِمْ يَا مَعْشَرَ الْخَلَائِقِ، أَنْصِتُوا، وَاسْتَمِعُوا مُنَادِيَ الْجَبَّارِ.

قَالَ: فَيَسْمَعُ آخِرَهُمْ كَمَا يَسْمَعُ أَوَّلَهُمْ، قَالَ: فَتَنْكَبِرُ أَصْوَاتُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ، وَتَخْشَعُ أَبْصَارُهُمْ، وَتَضْطَرِبُ فَرَائِصُهُمْ، وَتَفْرَعُ قُلُوبُهُمْ، وَيَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ إِلَى نَاحِيَةِ الصَّوْتِ: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ...﴾^(١)، قَالَ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾^(٢).

قَالَ: فَيُشْرِفُ الْجَبَّارُ وَعَلَى الْحَكَمِ الْعَدْلُ عَلَيْهِمْ، فَيَقُولُ: أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا الْحَكَمُ الْعَدْلُ الَّذِي لَا يَجُورُ الْيَوْمَ أَحْكُمُ بَيْنَكُمْ بَعْدَ لِي وَقِسْطِي، لَا يُظْلَمُ الْيَوْمَ عِنْدِي أَحَدٌ الْيَوْمَ، أَخَذَ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ بِحَقِّهِ، وَلِصَاحِبِ الْمَظْلَمَةِ بِالْمَظْلَمَةِ بِالْقِصَاصِ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، وَأُثِيبُ عَلَى الْهَبَاتِ، وَلَا يَجُوزُ هَذِهِ الْعَقَبَةُ الْيَوْمَ عِنْدِي ظَالِمٌ وَلَا أَحَدٌ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ إِلَّا مَظْلَمَةٌ يَهَبُهَا صَاحِبُهَا وَأُثِيبُهُ عَلَيْهَا وَأَخَذَ لَهَا بِهَا عِنْدَ الْحِسَابِ، فَتَلَازَمُوا أَيُّهَا الْخَلَائِقُ، وَاطْلُبُوا مَظَالِمَكُمْ عِنْدَ مَنْ ظَلَمَكُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَأَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ عَلَيْهِمْ، وَكَفَى بِي شَهِيدًا، قَالَ: فَيَتَعَارَفُونَ، وَيَتَلَازَمُونَ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ لَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مَظْلَمَةٌ أَوْ حَقٌّ إِلَّا لَزِمَهُ بِهَا، قَالَ: فَيَمْكُتُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَيَشْتَدُّ حَالُهُمْ، وَيَكْتُرُّ عَرْفُهُمْ، وَيَشْتَدُّ عَمُّهُمْ، وَتَرْتَفِعُ أَصْوَاتُهُمْ بِصَجِيحٍ شَدِيدٍ، فَيَمْتَنُونَ الْمَخْلَصَ مِنْهُ بِرَيْكٍ مَظَالِمِهِمْ لِأَهْلِهَا، قَالَ: وَيَطَّلِعُ اللَّهُ وَعَلَى جَهْدِهِمْ،

١. سورة القمر: ٨.

٢. سورة القمر، الآية ٨.

فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَسْمَعُ آخِرَهُمْ كَمَا يَسْمَعُ أَوَّلَهُمْ، يَا مَعْشَرَ
الْخَلَائِقِ، أَنْصِتُوا لِذَاعِي اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَاسْمَعُوا إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ
[لَكُمْ]: أَنَا الْوَهَّابُ إِنَّ أَحَبَّيْتُمْ أَنْ تَوَاهَبُوا فَتَوَاهَبُوا، وَإِنْ لَمْ تَوَاهَبُوا أَخَذْتُ لَكُمْ
بِمَظَالِمِكُمْ، قَالَ: فَيَفْرَحُونَ بِذَلِكَ لِشِدَّةِ جَهْدِهِمْ، وَضِيقِ مَسَلِكِهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ،
قَالَ: فِيهَبُ بَعْضُهُمْ مَظَالِمَهُمْ رَجَاءً أَنْ يَتَخَلَّصُوا مِمَّا هُمْ فِيهِ، وَيَبْقَى بَعْضُهُمْ،
فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَظَالِمُنَا أَعْظَمُ مِنْ أَنْ نَهَبَهَا، قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ تَلْقَاءِ الْعَرْشِ:
أَيْنَ رِضْوَانٍ خَازِنِ الْجِنَانِ جِنَانِ الْفِرْدَوْسِ، قَالَ: فَيَأْمُرُهُ اللَّهُ وَعَلَيْهِ أَنْ يُطَلِّعَ مِنَ
الْفِرْدَوْسِ قَصْرًا مِنْ فَضَّةٍ بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَبْنِيَةِ وَالْخَدَمِ، قَالَ: فَيُطَلِّعُهُ عَلَيْهِمْ فِي
حِفَافَةِ الْقَصْرِ الْوَصَائِفُ وَالْخَدَمُ، قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:
يَا مَعْشَرَ الْخَلَائِقِ، ارْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ، فَانظُرُوا إِلَى هَذَا الْقَصْرِ، قَالَ: فَيَرَفَعُونَ
رُؤُوسَهُمْ، فَكُلُّهُمْ يَتَمَنَّاهُ.

قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى: يَا مَعْشَرَ الْخَلَائِقِ، هَذَا لِكُلِّ مَنْ
عَمَّا عَنْ مُؤْمِنٍ، قَالَ: فَيَعْمُونَ كُلَّهُمْ إِلَّا الْقَلِيلَ.

قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ وَعَلَيْهِ: لَا يَجُوزُ إِلَيَّ جَنَّتِي الْيَوْمَ ظَالِمٌ، وَلَا يَجُوزُ إِلَيَّ نَارِي
الْيَوْمَ ظَالِمٌ وَلَا أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ حَتَّى يَأْخُذَهَا مِنْهُ عِنْدَ الْحِسَابِ.
أَيُّهَا الْخَلَائِقُ: اسْتَعِدُّوا لِلْحِسَابِ.

قَالَ: ثُمَّ يُخَلِّي سَبِيلَهُمْ، فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى الْعَقَبَةِ يَكْرُدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى
يَنْتَهُوا إِلَى الْعَرْصَةِ وَالْجَبَّارِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الْعَرْشِ، قَدْ نُشِرَتِ الدَّوَابُّ،
وَنَصِبَتِ الْمَوَازِينُ، وَأُحْضِرَ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ وَهُمْ الْأَيْمَةُ يُشْهَدُ كُلُّ إِمَامٍ عَلَى أَهْلِ
عَالِمِهِ بِأَنَّهُ قَدْ قَامَ فِيهِمْ بِأَمْرِ اللَّهِ وَعَلَيْهِ وَدَعَاهُمْ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ.

قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، إِذَا كَانَ لِلرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ الرَّجُلِ الْكَافِرِ مَظْلَمَةٌ أَيْ شَيْءٍ يَأْخُذُ مِنَ الْكَافِرِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام: يُطْرَحُ عَنِ الْمُسْلِمِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ بِقَدْرِ مَا لَهُ عَلَى الْكَافِرِ، فَيُعَذَّبُ الْكَافِرُ بِهَا مَعَ عَذَابِهِ بِكُفْرِهِ عَذَابًا بِقَدْرِ مَا لِلْمُسْلِمِ قَبْلَهُ مِنْ مَظْلَمَةٍ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْقُرَشِيُّ: فَإِذَا كَانَتْ الْمَظْلَمَةُ لِلْمُسْلِمِ عِنْدَ مُسْلِمٍ كَيْفَ تُوْخَذُ مَظْلَمَتُهُ مِنَ الْمُسْلِمِ؟ قَالَ: يُؤْخَذُ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ مِنْ حَسَنَاتِهِ بِقَدْرِ حَقِّ الْمَظْلُومِ، فَتَزَادُ عَلَى حَسَنَاتِ الْمَظْلُومِ.

قَالَ فَقَالَ لَهُ الْقُرَشِيُّ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلظَّالِمِ حَسَنَاتٌ؟ قَالَ: إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلظَّالِمِ حَسَنَاتٌ، فَإِنَّ لِلْمَظْلُومِ سَيِّئَاتٍ يُؤْخَذُ مِنْ سَيِّئَاتِ الْمَظْلُومِ، فَتَزَادُ عَلَى سَيِّئَاتِ الظَّالِمِ»^(١).

الطَّرِيقَةُ السَّابِعَةُ: التَّفَكُّرُ فِي شِدَّةِ حُبِّ اللَّهِ لَنَا

هناك الكثير من الدلائل والبراهين التي تدلُّ على عظيم حبِّ الله تعالى لعباده، فلو تأمَّل المتأمِّل فيها، لمات شوقاً وحبًّا لخالقته، ولانجذب نحوه انجذاباً منقطع النظير، فيجعله يحلِّق في سماء طاعته وامتنال أحكامه، وساعياً للتخلُّق باخلاقه وعبادته، وأخذاً بهمته نحو وصاله وقربه، مغتنماً كلَّ لحظاته وساعاته.

ولكي يكون لنا نصيب من هذا الشُّوق والهيمان فيه، سأشير إلى بعض تجليات حبه لعباده، وشدَّة اهتمامه بنا، عسى ذلك يحركنا لتغيير مسارنا والسَّير نحوه وعبادته: ^(٢)

١. الكافي، الشيخ الكليني ج٨، ص ٧٩، ح ١٠٣-١٠٦.

٢. اعلم أيُّها الحبيب: إنَّ العقل والشرع وسيرة العقلاء كلها تدمج هجران المحب لك والمتفضل عليك دون مبرر، لذا يستقبحون هجران الوالدين المحبين لك، والباذلين لك كلَّ غال ونفيس، فتقابلهم بالهجران وعدم الاعتراف إليهم، فكيف إذا كان هذا الهجران مع المحبِّ الحقيقي لك، والمتفضل الحقيقي واثم عليك، ألا وهو الله تعالى!!!

١. قال تعالى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(١)، وأوحى الله إلى داود: يا داود، لويعلم المُدْبِرُونَ عَنِّي كيف انتظاري لهم، ورفقي بهم، وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقاً إليّ، وتقطّعت أوصالهم من محبّتي.

يا داود، هذه إرادتي في المُدْبِرِينَ عَنِّي، فكيف إرادتي في المقبلين عليّ.

يا داود، أحوج ما يكون العبد إليّ إذا استغنى عنيّ، وأرحم ما أكون بعبيدي إذا أدبر عنيّ، وأجلّ ما يكون عبيدي إذا رجع إليّ.^(٢)

وقال أحدهم:

وأعصي فيوليني برأ وإمهالا	أسيئ فيجزى بالإساءة أفضالا
وأبعد عنه وهو يبدل إيصالا	فحتى متى أفضوه وهو يبرني
ولا حال عن ستر القبيح ولا زالا	وكم مرة قد زغت عن نهج طاعة

٢. «عبيدي بحقك عليّ إنني أحبُّك، فبحقّي عليك أحبّتي».^(٣)

٢. اعلم أيّها العزيز: إنّ هدف بعث الأنبياء والرُّسل هو إيجاد العلاقة والصّلة بينك وبين خالقك، وإنّ هذا - وهو إيجاد علاقة بينك وبين خالقك - وهذا الأمر يترتّب عليه أفضل جزاء للأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وهو أفضل لهم من عبادة مائة سنة بصيام نهارها، وقيام ليلها، وهذا دليل شدّة حبّه لنا، بل هذا صريح النُّصوص الشرعيّة الواردة، حيث قد أمر أنبياءه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ببيان شدّة حبّه لعباده، عسى أنّ يلتفت بعضنا، فيرجع عمّا كان عليه من الهجران إلى وصاله، فيكون واحداً منهم،

١. سورة البقرة، الآية ٢٢٢.

٢. المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء، الشيخ فيض الكاشاني ج، ص ٦٢.

٣. مراقبات، ميرزا جواد آغا ملكي التبريزي، ص ١٨.

ففي الخبر أنه أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: حَبِّبْنِي إِلَى خَلْقِي، وَحَبِّبْ خَلْقِي إِلَيَّ.

قال: يا رب، كيف أفعل؟

قال: ذكّرهم آلائِي ونعمائِي؛ لِيحِبُّونِي، فَلئنْ تَرَدَّ أَبْقًا عَن بَابِي، أَوْ ضَالًّا عَن فَنَائِي، أَفْضَلُ لَكَ مَن عِبَادَةٌ مِائَةَ سَنَةٍ، بِصِيَامِ نَهَارِهَا، وَقِيَامِ لَيْلِهَا.

قال موسى عليه السلام: وَمَن هَذَا الْعَبْدُ الْأَبْقُ مِنْكَ؟

قال: الْعَاصِي الْمْتَمَرِّد.

قال: فَمَن الضَّالُّ عَن فَنَائِكَ؟

قال: الْجَاهِلُ بِإِمَامِ زَمَانِهِ تُعَرِّفُهُ، وَالْغَائِبُ عَنْهُ بَعْدَمَا عَرَفَهُ الْجَاهِلُ بِشَرِيعَةِ دِينِهِ، تُعَرِّفُهُ شَرِيعَتُهُ، وَمَا يَعْبُدُ بِهِ رَبَّهُ، وَيَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى مَرْضَاتِهِ»^(١).

أليس هذا الخطاب ونظراؤه مدعاة للتَّحَرُّكِ نحوه دون تذبذب أو تعلق؟!

من تجليات الحبِّ الإلهيِّ ما تقدَّم في بحث سابق: من غفران الذَّنْبِ، وتبديل السيِّئات بالحسنات، وحيث قد تقدم جانبٌ منه، فلا نعيد كيلا نطيل.

١. مستدرک الوسائل ١٧ / ٣١٩ / ح ٢٥.

تفعيل سلاح الحزم والإرادة

أيُّها العزيز، بعد معرفة بعض الطُّرق المقوِّية للإرادة والحزم، فاعلم أنَّه لا طريق أمامك سوى تفعيل الإرادة والحزم فيما تريد النُّجاح فيه ونيل غايتك منه، ولا يخفى عليك أنَّ الكمال والإيمان وتحقيق الطموحات لا تتحقَّق بالأمني والرغبات والأمنيات، بل بالإرادة الحازمة القويَّة التي تدلُّ الصُّعاب، وتحقِّق الأمنيات، لذا «مَنْ أخذ بالحزم استظهر، مَنْ أضع الحزم تهوَّر»^(١) كما ورد عن الإمام عليٍّ عليه السلام، وهذه الحقيقة لم تغب عن أعين المتميِّزين والغانمين لأعمارهم، بل أنَّهم تيقَّنوا بهذا الأصل تمام اليقين، لذا تجدهم شمَّروا عن سواعدهم، وحقَّقوا أمنياتهم بعد حين، وفاضوا بالسُّعادة والفلاح.

ومن هنا علينا الاقتداء بهم في هذا المضمار، وتقليدهم؛ لننَّجح، ونفْلح، ونغنم ممَّا بقي من العمر.

يقول الشَّاعر:

لأستسهلن الصُّعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر^(٢)

وقال آخر:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم^(٣)

١. ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري ج٢، ح٣٦٩، ص٣٨٤.

٢. مغني اللبيب/١/٧٦.

٣. قال المتنبي هذين البيتين ضمن قصيدة طويلة يمدح سيف الدولة، وقد سار لبناء مدينة الحدث الحمراء لحمرة بيوتها، وقلعتها على جبل الأحيدب، وذكر إيقاعه فيها بالدمستق ملك الروم وأسره صهره وابن بنته، وأقام سيف الدولة إلى أن بناها، فأنشده المتنبي يوم الثلاثاء لتسع خلون من رجب سنة ٣٤٣ هـ. قبيلة تغلب ٨/٦٥.

فليكن هذا شعارك كما كان شعار المفلحين والمغتتمين لأعمارهم، ولولا هذا الشعار وتجسيده لقتلنا طموحاتنا بسلاح الكسل والخمول والتسويف، وبدعوى انتظار الفرصة المناسبة، مع أن الواضح أنه علينا خلق الفرص لأن نتنظر الفرص، وأن نبدأ لاغتنام العمر من اليوم، بل هذه اللحظة دون تريث أو خمول، ويدل على ذلك، ما روي عن مولى الموحدين عليه السلام: «أحزم الناس رأياً من أنجز وعده، ولم يؤخر عمل يومه لغده».^(١)

وعن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام لما سأله أبوه ما الحزم؟

قال عليه السلام: «أن تنتظر فرصتك، وتعاجل ما أمكنك»^(٢)، وسر هذا التّعجيل وعدم التسويف بيئته باب مدينة علم الرسول عليه السلام: «أيها الناس، الآن الآن ما دام الوثاق مطلقاً، والسراج منيراً، وباب التوبة مفتوحاً من قبل أن يجفّ القلم، وتطوى الصحف».^(٣)

فالفرصة الآن بيدك، وغداً لا تدري ما الظروف، وما الموانع، فاغتم ما بيدك، ودع ما ليس بيدك للمستقبل، وللقضاء، والقدر.

ثم اعلم: إن كل يوم تبدأ فيه، بل كل لحظة منه، فهي لك، وتقترب لهدفك بقدرها، وكل يوم تتأخر فيه فهو عليك، ويؤخرك من نيل أهدافك وصلاحك وطموحاتك بقدره، فالبيدار البدار، والعجل العجل.

وخير ما نختم به حديثنا في هذا الحقل هو أن ننقل إليك ما قاله أحد أعظم شخصيات عالمنا المعاصر ألا وهو السيد الإمام الخميني (قدس سره) حيث قال:

١. ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري ج٢، ح٣٧٤٧، ٣٨٩.

٢. معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص ٤٠١.

٣. ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري ج٦، ح١٣٩٠، ص ٥٤٠.

يقول أحد مشايخنا أطل الله عمره: «إن العزم هو جوهر الإنسانيَّة، ومعيار ميزة الإنسان، وأنَّ اختلاف درجات الإنسان باختلاف درجات عزمه.»^(١)

إلى أن يقول:

«أيُّها العزيز، اجتهد لتصبح ذا عزم وإرادة، فإنَّك إذا رحلت من هذه الدُّنيا دون أن يتحقَّق فيك العزم - على ترك المحرِّمات -، فأنت إنسانٌ صوريٌّ، بلا لبٍّ، ولن تحشر في ذلك العالم (عالم الآخرة) على هيئة إنسان، لأنَّ ذلك العالم هو محل كشف الباطن، وظهور السُّريرة، وإنَّ التَّجرُّؤ على المعاصي يفقد الإنسان تدريجيًّا العزم، ويختطف منه هذا الجوهر الشَّريف.

يقول الأستاذ المعظم (دام ظلُّه): «إنَّ أكثر ما يسبب على فقد الإنسان العزم والإرادة هو الاستماع للغناء.

إذا، تجنَّب يا أخي المعاصي، واعزم على الهجرة إلى الحقِّ تعالى، واجعل ظاهرك ظاهرًا إنسانيًّا، وادخل في سلك أرباب الشُّرايع، واطلب من الله تعالى في الخلوات أن يكون معك في الطَّريق لهذا الهدف، واستشفع برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حتى يفيض ربُّك عليك التَّوفيق، ويمسك بيدك في المزالق التي تعترضك، لأنَّ هناك مزالق كثيرة تعترض الإنسان أيَّام حياته، ومن الممكن أنَّهُ في لحظة واحدة يسقط في مزلق مهلك، يعجز من السَّعي لإنقاذ نفسه، بل قد لا يهتمُّ بإنقاذ نفسه، بل ربما لا تشمله حتَّى شفاعة الشَّافعين، نعوذ بالله منها»، انتهى كلامه (قدس سرُّه الشَّريف)».^(٢)

١. الأربعون حديثًا، السيد الإمام الخميني (قد سره)، ص ٢٤.

٢. الأربعون حديثًا، السيد الإمام الخميني (قد سره)، ص ٢٥-٢٦.

خَطُّ لَاجِنْتَامِ عَمْرِك

بَعْدَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّوَسُّلِ بِأَهْلِ بَيْتِ الْعِصْمَةِ وَالطَّهَارَةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِإِرَادَةِ تَغْيِيرِ مَسَارِ حَيَاتِكَ، وَاجْتِنَامِ عَمْرِك، وَتَسْخِيرِهِ فِيمَا يَرْضَى اللَّهُ تَعَالَى بِوَجْهِ أَكْمَلِ وَأَبْلَغِ، لَا بَدَّ مِنَ التَّخْطِيطِ لَهُ؛ لِنَيْلِ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْأَجْرِ وَالرِّضَا الْإِلَهِيِّ الْمُمْكِنِ، وَهَذَا مَا سَتَتَحَدَّثُ فِيهِ فَعَلًا بِنَحْوِ مِنَ الْإِجْمَالِ، وَسَوْفَ يَأْتِي مَزِيدٌ حَدِيثٌ عَنْهُ فِي الْأَبْحَاثِ اللَّاحِقَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

فَتَقُولُ، وَبِهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَسْتَعِينُ:

فَحَيْثُ إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا أَمِيَّةَ رَأْسِ الْمَالِ هَذَا، فَلَا بَدَّ مِنَ التَّخْطِيطِ لَهُ بِنَحْوِ وَاضِحٍ وَدَقِيقٍ؛ كَيْ لَا نَتَخَبَّطُ فَتَفْشَلُ - لَا قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى -، وَنَعْنِي بِالتَّخْطِيطِ الدَّقِيقِ هُوَ الْمَعْرِفَةُ الْوَاضِحَةُ مِنْ مَفْهُومِ اجْتِنَامِ الْعَمْرِ وَمَعْنَاهُ، وَمَا يَنْبَغِي فَعْلَهُ أَوْ تَرْكَهُ؛ لِلْوُصُولِ لِأَعْلَى دَرَجَةِ مِنْ دَرَجَاتِ الْفَلَاحِ وَالصَّلَاحِ مِنْ خِلَالِ الْحِفَاضِ عَلَى رَأْسِ مَا لَنَا الْبَاقِي، وَسَوْفَ يَتَّضِحُ لَنَا أَنَّ الْكَثِيرَ مِنْ ذَلِكَ سَهْلٌ يَسِيرٌ، لَا سِيَّمَا مَعَ الْإِرَادَةِ وَالرُّغْبَةِ الْأَكِيدَةِ الْفَطْرِيَّةِ الْكَامِنَةِ فِي النَّفْسِ نَحْوِ الْكَمَالِ، وَالنَّجَاحِ، وَالْفَلَاحِ، وَالتَّغْيِيرِ.

وَخِلَاصَةَ مَا يَنْبَغِي التَّأَكِيدَ عَلَيْهِ مَا يَلِي:

١. مَعْرِفَةُ الْهَدَفِ، أَيْ الْغَايَةِ الْمَتَوَخَّاةَ مِنْ اجْتِنَامِ الْعَمْرِ.
٢. رَفْعُ الْمَوَانِعِ، أَوْ قَلِّ لِمَوْصُوعِ الْعَمْرِ، وَهِيَ الْأُمُورُ الَّتِي تَقْفُ عَائِقًا أَسَاسًا أَمَامَ اجْتِنَامِ الْعَمْرِ، وَتَسْلُبُ الْبَرَكَةَ وَالتَّوْفِيقَ مِنْهُ، وَهِيَ ضِدُّ الْفَلَاحِ وَالصَّلَاحِ.

٣. زرع بذور استثمار العمر؛ لجَنِّي ثمارها بعد حين، وذلك بالوقوف على الموارد التي يمكننا القيام ببذرها وزرعها لجَنِّي المزيد من النُّجَاح والفلَاح والأجر والثَّواب؛ ليكون ذلك خير طريق وسبيل لاغتنام أعمارنا، ونيل السَّعادة والكمال.

وإليك التَّفصِيل، وبه نستعين.

معرفة الهدف

ما الغاية المتوخاة من اغتنام العمر؟

تقدم سابقًا، وتوضح أيضًا، أنَّ عمر الإنسان هو أعزُّ رأس مال يملكه، وعليه فلا بدَّ أن يصرِّفه في أهمِّ الأمور وأنفسها، وإلَّا كان عمره هباءً منثورًا نصيبه الحرمان والخسران، وإنِّي اعتقدُ جازمًا - كما تعتقدون أيضًا - أنَّه لا يستحقُّ صرف هذا العمر إلا في كسب رضا الله تعالى، ونيل قُربه، حيث من خلال ذلك يمكننا أن نفوز ونحظى بالسعادة الأبدية والدنيوية، ولا نغني بذلك أن نترك الدنيا وما فيها أبدًا، بل نقصد من كلامنا كما قال المولى تعالى في قوله: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١).

وبعبارة أخرى: كما جاء على لسان الإمام الكاظم عليه السلام: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا»^(٢).

وسوف يتضح - إن شاء الله تعالى - أنه لا تنافي بين العمل الدنيوي والاستعداد الآخروي، بل إن العمل الدنيوي ما هو إلا طريق ومعبر؛ لبناء واستثمار الحياة الأبدية والخالدة.

نعم، المحظور والمنافي لاغتنام العمر أن نجعل الدنيا أكبر همِّنا، ومنتهى سعينا، وننسى نصيبنا من الآخرة، فتكون حركاتنا وسكناتنا للأهداف الدنيوية

١. سورة القصص، الآية ٧٧.

٢. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق ج٢، ح٣٥٦٩، ص١٥٦.

تنبيه: هذا النص قد ورد على لسان بعض المعصومين (عليهم السلام) أيضًا، ونحن هنا أثبتناه كما نقله الشيخ الصدوق في كتابه الشريف.

فقط، وحينها يكون الإنسان مغبونًا خاسرًا مهما بلغ من الدنيا علوًا وشأنًا ومكانة، حيث باع أغلى شيء يملكه بما لا يبقى معه، ولم يشيد به حياته الأبدية والسرمدية، بل لعلّه اشترى بعمره النّار والعيش في قعر جهنم مع الفجار - والعياذ باللّٰه تعالى -، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ❖ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (١).

فهناك الكثير من البشر من هم يظنون ويعتقدون أنّهم ناجحون وسعداء وفائزون، ولكن الواقع ما هم إلاّ الأخسرون والنادمون يوم القيامة، وليس ذلك إلاّ لأنّهم ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعًا، إذ أرادوا الدنيا للدنيا، ونسوا أو تناسوا أنّ الدنيا مزرعة الآخرة، وأنّ اليوم عمل بلا حساب، وغدًا حساب بلا عمل، فلم يستعدّوا للقاء الله الأكبر، فكان نتاج غفلتهم أنّ كانوا من الأخسرين أعمالًا، واقبلوا على الله خالين اليدين.

ولكي نحدّد البوصلة والهدف بشكل واضح وجليّ؛ لاستثمار العمر المتبقي، نقول:

لا تناه في، ولا تراحم في كثير من أعمال الدنيا بين الهدف الأخروي وإعمار الدنيا، بل العكس تمامًا، فكثير من الأعمال الدنيوية يمكن جعلها طريقًا لإعمار الدنيا والآخرة - كما سيّضح إن شاء الله تعالى -.

نعم، في بعض الموارد قد تتراحم رغبات الإنسان الدنيوية مع الاستعداد لآخرته وتشيدها، كما لو كان الأمر المطلوب محرّمًا شرعًا، فيجب عليه حينها تقديم الآخرة على الدنيا، وهذا هو أجليّ موارد الذمّ في إتباع الدنيا والرُّكون

١. سورة الكهف، الآيتان ١٠٣-١٠٤.

لها، فيكون قد استبدل الباقي بالفاني، والغالي من العمر بالرخيص من الدنيا الزائلة، وهذا ممَّن ينطبق عليه أنه من الأَخْسرين أَعْمَالاً.

وإليك بعض النُّصوص الرُّوائيَّة التي تدلُّ على ما أشرنا إليه:

١. عن رسول الله ﷺ: «شَرُّ النَّاسِ مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ، وَشَرُّ مَنْ ذَلِكَ مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ».^(١)

٢. عن وصي الرسول ﷺ: «مَنْ أَطَاعَ هَوَاهُ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ».^(٢)

٣. عن ابن أبي يعفور، قلت لأبي عبد الله ع: «إِنَّا لَنَحِبُّ الدُّنْيَا».

فقال لي: تصنع بها ما ذا؟

قلت: أتزوج منها، وأحجُّ، وأنفق على عيالي، وأنيل إخواني وأتصدَّق.

قال لي: ليس هذا من الدُّنيا، هذا من الآخرة».^(٣)

١. مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ ج، ٤، ٥٧٦٢، ص ٣٥٢.

٢. مُسْتَدْرَكُ الْوَسَائِلِ، الشَّيْخُ مَبْرُزَا حَسِينِ النَّوْرِيِّ الطَّبْرَسِيِّ ج ١٢، ١٣، ص ١١٥.

٣. بَحَارُ الْأَنْوَارِ، الْعَلَمَةُ الْمَجْلِسِيُّ ج ٧٠، ص ٦٢.

لصوص العمر

وهي الأمور التي تقف عائقًا أساسًا ومانعًا حقيقيًا لاغتنام العمر، وتسلب البركة والتوفيق منه، ولا يمكن للإنسان من اغتنام عمره، ونيل سعادته الأخرى بالنحو الأتم إلا من خلال رفع تلك الموانع، والقضاء عليها، وإليك الفهرسة الأولية لبعض منها:

١. المعصية، وسلب التوفيق والحرمان الآخروي والدنيوي وهو من أقبح صور إضاعة العمر، لأنه بذل للعمر في نقيض الغرض تمامًا.
 ٢. الانشغال بالمباحات الأولية، والميل إلى الراحة والدعة.
 ٣. التسويف والإهمال.
 ٤. ترك الأهم والانشغال بالمهم، أو عدم إنجازته بالنحو الأتم والأكمل.
 ٥. الرياء، وعدم الإخلاص لله وَعَلَىٰ.
- وإليك تفصيل الكلام بما يسع المقام، وهدف تأليف الكتاب.

المعصية

المعصية والذنب يعدان من أبرز لصوص العمر وأقبحها، وذلك أن العاصي يلقي الله تعالى حين يلقاه، وهو قد ملاً صحيفته بالذنوب والمعاصي النتنة، مخالفاً بذلك لأبرز حق من حقوق ولي نعمته وَعَلَى^(١)، متناقضاً بالكامل مع السعي؛ لاغتنام العمر نحو حياة راقية سرمدية.

فمن المناسب للإنسان قبل القيام بأي معصية أن يتذكر وقوفه بين يدي الله وَعَلَى، ويتصور حاله حينها وقد ملاً صحيفته بالمعاصي والذنوب، ومن هذا المنطلق، تأمل فيما أقول:

ما حالك وجوابك أيها الشريف، لو حاسبك الله وَعَلَى بعيداً عن الخلائق يوم القيامة، وبمعزل عنهم، وقال لك، عبدي لم عصيتني؟

ألم أنعم عليك نعمة الوجود والإيجاد بعد أن كنت نسياً منسياً؟!

ألم أفض عليك من النعم الكاملة قبل أن تسألني إياها؟، وخلقتك، فجعلتك في أحسن تقويم؟، وخلقتك تاماً سوياً، ومن أبوين مسلمين شريفيين؟، وسخرت لك الدنيا وما فيها وجعلتها لخدمتك؟

أليس جزاء الإحسان هو الإحسان بالمثل؟، فلم جازيت خير المحسنين بالإساءة؟، فأين إحسانك الذي يعود بالنفع إليك أولاً وبالذات؟!

ألا تعلم أنه: إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم؟

١. حيث قد ثبت في محله بالدليلين العقلي والشري بلزوم طاعة الله تعالى، ووجوب امتثال أوامره ونواهيه، أداء لحقه المولوي.

ألا تعلم أنه لا تضرنني طاعة من أطاعني، ولا معصية من عصاني، ولكن أردت لك من طاعتك إياي أن أتمم لك العطاء والإحسان، وأن أدخلك في دار النعيم والعيش السرمدي في جنات الخلد والكرامة، فلم عصيتني وحرمت نفسك هذا العطاء؟

فمن الطيبعي مع هذه المساءلة التي ملؤها الحبُّ والعتبُ ستبكي الإنسان بدل الدموع دماً.

هذا، إن حاسبك سبحانه بمعزلٍ عن النَّاسِ والشُّهُودِ، وأمَّا لو حاسبك أمام الملائ، وذلك كما يستفاد من النُّصوص الشرعيَّة، وذلك بسوء اختيارك، وقبح أعمالك قبال نعمه اللامتناهية عليك وعلى جميع الخلائق، فنظر النَّاسِ إلى كلِّ كبيرة وصغيرة ارتكبتها في دار الدنيا من خير أو شر، فحينها هيئات هيئات أن ينفع الندم والبكاء والعويل، وقد أضعت الفرصة تلو الأخرى في دار الدنيا!

لذا علينا جميعاً اغتنام الباقي من العمر لصرفه فيما يسعدنا في تلك النشأة، والتمسك بسعة رحمته وبأسماؤه الحسنی، عسى بفضل جوده أن يمنَّ علينا بالعضو والصفح الجميل كما هو دينه، ولا يحاسبنا بما ارتكبناه في سالف الأزمان، فقد كتب على نفسه الرَّحمة، وهو الغفور الرحيم، ويحبُّ التَّوابين، فلنتمسك بحبِّه للتَّوابين، ونتوب توبة نصوحاً؛ لننجو من معاتبته، ومساءلته، ومعاقبته يوم لقائه، وننقذ أنفسنا من تلك المسائلة الحرجة القاصمة.

ولكي تزهد في الذنوب بشكل عام، لا بدَّ لك أن تعلم علم اليقين أن للمعاصي والذنوب آثاراً سلبية كثيرة في النَّشآتین، نشير إلى بعضها بإيجاز شديد:

١. عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب انمحت، وإن زاد زادت حتى تغلب على قلبه، فلا يفلح بعدها أبداً.»^(١)

٢. عن الإمام علي عليه السلام: «ما جفت الدُموع إلا لقسوة القلوب، وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب.»^(٢)

٣. عن الإمام الصادق عليه السلام: «أما إنه ليس من عرق يضرب، ولا نكتة ولا صداع ولا مرض إلا بذنب، وذلك قول الله وَعَلَىٰ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ...﴾^(٣)، ثم قال: وما يعفو الله أكثر ممَّا يؤاخذ به.»^(٤)

٤. عن الإمام الصادق عليه السلام: «من يموت بالذنوب أكثر ممَّن يموت بالآجال، ومن يعيش بالإحسان أكثر ممَّن يعيش بالأعمار.»^(٥)

٥. عن الإمام الصادق عليه السلام - أيضاً - : «إنَّ لله تبارك وتعالى على عبده المؤمن أربعين جنة، فمتى أذنب ذنباً [كبيراً] رفع عنه جنة، فإذا عاب أخاه المؤمن بشيء يعلمه منه انكشفت تلك الجنن عنه، ويبقى مهتوك الستر، فيفتضح في السماء على السنة الملائكة، وفي الأرض على السنة النَّاس، ولا يرتكب ذنباً إلا ذكروه، ويقول الملائكة الموكلون به: يا ربنا، قد بقي عبدك مهتوك الستر، وقد أمرتنا بحفظه، فيقول وَعَلَىٰ: ملائكتي، لو أردت بهذا العبد خيراً ما فضحتَه، فارضعوا أجنحتكم عنه، فوعزتي لا يؤول بعدها إلى خير أبداً.»^(٦)

فهل بعد هذه المضار من راغب في معصية الخالق!

١. الكافي، الشيخ الكليني ج٢، ح١٣، ص٢٧١.

٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٦٧، ح٢٤، ص٥٥.

٣. الشورى: ٣١.

٤. الكافي، الشيخ الكليني ج٢، ح١٣، ص٢٧١، ح٣، ص٢٦٨.

٥. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج١٧٠، ح٥٩، ص٣٥٤.

٦. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج١٧٠، ح٨٧، ص٣٦١.

الانشغال بالمباحات الأوّلية

الانشغال بالمباحات الأوّلية والميل إلى الرّاحة والدعة، من جملة أبرز لصوص العمر وأكثرها شيوعاً وانتشاراً بين المتديّنين وغيرهم، حيث ذلك ينسجم مع رغبات وميول الأفراد غير الطموحين، وغير المتميزين، ويعود الأمر في شيوعه وانتشاره لأُمورٍ، منها: كونه مباحاً، وجائزاً في الدّين ولدى العرف الاجتماعي، فيجد في ذلك الصالح والطالح متعته ورغبته، حيث الكثير من البشر يعتبر ذلك نحو إنجاز مقبول له، بتبرير أنّه حين تلبسه بالمباحات لم يخالف ربّه وولي نعمته، بل ولم يخالف العرف الاجتماعي أيضاً، فهو في مأمنٍ من التوبيخ والزّجر الشرعي والاجتماعي.

ولكن يغفل هذا المسكين أنّه يهدر أعلى رأس ماله في أحقر الأمور قيمة ورغبة لدى أصحاب البصيرة والفلاح، فلا يُشغل البصير أوقاته بمثل الحاسوب، أو الألعاب الإلكترونية، أو المسلسلات والأفلام على فرض جوازها، بل حتّى الأكل والشرب والنّوم، و... إلخ، إلّا لغرض شرعي راجح، أو عقلاني؛ لينال منها الأجر والثواب.

فالْمؤمن الواعي دون غيره قد وعى قيمة عمره، فيتعامل مع باقي الانشغالات معاملة التّاجر مع البضاعة التي يريد أن يشتريها، فإنّ وجد أن هذا الفعل يستحق بذل شيء من أنفاسه فيه بذل بمقدار الحاجة ولا يزيد عليها، خشية الغبن والخسارة في عمره ورأس ماله، وهذا سر صيرورة حياتهم ذي بركة

وقيمة، وهو سرُّ خلودهم وتميزهم في دار الدنيا، ولذا تشرَّف التاريخ بذكرهم في سجل أوراقه وصفحاته، ويحشر الرجل الواحد منهم أُمَّةً.

وأما نحن المغبونون حقًا، فنفرح ونأنس بهذه المباحات بدعوى أننا غير منشغلين بالمعصية ومحافظين على ديننا، وعرفنا الاجتماعي، مع أننا قد وقعنا في حبال الشيطان الرجيم ومكائد النفس الأمَّارة من حيث لا نشعر، حيث إنَّ الشيطان بعد علمه بأنَّ هذا العبد أو ذاك يستحيل أن يغلبه لإيقاعه في محرِّم من المحرمات، أو ترك واجب من الواجبات، يسعى لإغوائه بطريقة ذكية وخفيَّة، من قبيل ترغيبه في الانشغال بالمباحات الأوليَّة خشيةً منه أن يلتفت إلى أوقات فراغه، فيتعبد فيها، أو يستفيد منها فيما يقربه إلى الله تعالى أكثر فأكثر.

والنفس الأمَّارة - أيضًا - لها دور في التَّربُّغيب المتَّقدم، حيث إنها ميالة إلى اللعب واللهو مملوَّة بالغفلة والسهو، فتسعى بطبيعتها هذه بترغيب الإنسان بالمباحات، بدعوى أنَّك لم تعصِ المولى وولي نعمتك، فتطلب سؤالها في المباحات الأوليَّة، وتبالغ فيها.

وبهذا البيان المتَّقدم قد يختلجك سؤال واستفهام، وتتساءل: إلى أين يريد يأخذنا الكاتب؟!

هل يقصد أن نترك كلَّ المباحات من قبيل ترك الأكل، أو الشرب، أو النوم، وغير ذلك؟!

فإذا كان الجواب بنعم، كما قد يفهم ذلك ممَّا تقدم، فالأمر في غاية الصعوبة والإشكال.

فتقول: إذًا، إلى هنا ونكتفي من قراءة الكتاب، فقد بلغ السيل الزُبى، هذا ما لا نستطيع تركه بل الكثير ممَّا تقدم من المباحات لا يمكن تركها، فهي رهن حياتنا وبقائنا على وجه الارض!

والجواب: بكلِّ بساطة، كلا، ليس كما ذهبتَ، والجواب بسيط جدًا، وهو أن تواصل قراءتك معي هذه الوريقات المتبقية.

فالحلُّ أيُّها العزيز، يكمن في الاستفادة من المباح لجني الثواب والأجر، وهذا ممكن في كثير من المباحات الأولية.

بمعنى: حينما تريد أن تنام - وهو من المباحات الأوَّليَّة - تنوي أنك تنام؛ كي تتقوى على العبادة غدًا صباحًا، ولكي تذهب إلى العمل، وتبذل قصارى جهدك فيه، فالعمل نوع جهاد في سبيل الله تعالى، كما ورد في الحديث الشريف: «الكادُّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله»^(١)، فحينها تكون قد غنمت الثواب والأجر من نومك المباح شرعًا، وتستطيع أيضًا أن تتوضأ قبل النوم، فيُكتب لك الأجر والثواب حتى تستيقظ منه، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «مَنْ تطهَّر ثم أوى إلى فراشه بات وفراشه كمسجده، فإن ذكرَ أنه ليس على وضوء، فتيَّم من دناره كائنًا ما كان، لم يزل في صلاة ما ذكرَ الله وَجَلَّ»^(٢).

وبهذا الأسلوب تنال الثواب من المباحات الأوَّليَّة، ولولا هذا الفعل والنِّيَّات الراجحة شرعًا التي تضيفها على المباحات، لقضيت عمرك في هذه الأعمال دون أن تنال منها الأجر، ولم تغتنم من عمرك جيّدًا.

١. الكافي، الشيخ الكليني ج٥، ح١، ص٨٨.

٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٧٧، ح١٦، ص٣٠٨.

فلو كنت تنام في اليوم ثماني ساعات، وعشت من العمر ستون سنة،
فمعدل نومك عشرون سنة، وبهذا النحو من الاغتنام من فرص المباحات، صيرت
وسخرت عشرون سنة من عمرك في الطاعة، وملأت صناديق أعمالك بالثواب
بدلاً من إبقائها فارغة منه.

أليس هذا عرضاً جميلاً، يجعلك تواصل القراءة معي؛ كي نفتح معاً
آفاقاً أخرى بأذن الله تعالى؟

وسوف يأتي تفصيل الكلام أكثر، حينما نتحدث عن بذور استثمار العمر
وطرقه إن شاء الله تعالى.

التسوية والإهمال

وهو لخص آخر من لصوص العمر، وقد أشرنا في الجملة إلى أهمية هذا الأمر تحت عنوان: «فعل الحزم والإرادة»، وهنا سوف نشير بإذن الله تعالى إلى وجه كونه لخصاً، ونبين أعداءك والأشرار الذين يكمنون وراءه ويدعمونه، فأليك البيان، ومنه تعالى نستمد العون والتوفيق.

أمّا وجه كونه لخصاً، فهذا واضح جداً بقليل من التأمل، حيث الهدف من شعار اغتنام العمر هو الحركة نحو خلق واقع جديد مليئ بالخيرات والإنجازات الإيجابية، ولا يمكن خلق إنجاز وكمال إلا من خلال الحركة والفعل، وانعدامهما انعدام للإنجاز، ونيل الكمال.

فالعدم لا يُولد إلا العدم، وهذا نظير ضم الصفر إلى صفر، فالنتاج لا يكون إلا صفراً، ولذا أكد المولى في كثير من الموارد القرآنية على هذه الحقيقة وبألسن مختلفة ومتنوعة، داعياً فيها للحركة، وترك الإهمال والخمول والتسوية، منها قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(١)، فبقدر سعيك تنال الخير والكمال، وهذه حقيقة كونية متساملة لدى جميع العقلاء والمتشرعة.

وفي مورد آخر قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٢).

١. سورة النجم، الآية ٣٩.

٢. سورة الرعد، الآية ١١.

إذا، نفهم أنّ الله تعالى يريد منّا تغيير واقعنا من التسويف إلى الفعل والحركة والسعي والمثابرة، فبقدر التغيير الإيجابي في النفس نرى التأييد الرباني، والتسديد منه تعالى؛ لننال مزيد توفيق ونجاح وكمال وسعادة وفلاح، فما لم نغير من واقعنا فمن الحمق والجهل المحض أن نتصور أنّنا سنحقق شيئاً على أرض الواقع، ودليل ما قلناه وجداني، فيكفي أن ترجع إلى سيرتك الذاتية وتاريخك الماضي، وانظر في نجاحاتك مهما كانت كبيرة أو صغيرة، هل حزتها بالكسل والتسويف والإهمال؟! أم أنك نلتها بجهدك واجتهادك وعملك وحركتك؟

إذا، فاعلم أنّ كلّ الإنجازات هي على نفس الشّكلة، تحتاج إلى جدّ ومثابرة وعمل وهجران التسويف والإهمال معاً.

وأما الأشرار والأعداء الذين يكمنون وراء التسويف والإهمال، فهم: الجهل، والنفس الأمّارة، والشيطان الرجيم.

وأما الجهل: فقد بيّناه قبل قليل، وعلاجه مراجعة الوجدان وسيرة العقلاء والشرع.

وأما النفس الأمّارة بالسوء: فمما يدل على أنّها وراء الإهمال والتسويف - غير ما تقدم في البحث السابق-، هو ما جاء في مجموعة من النصوص الشرعية، من قبيل ما ورد في زبور آل محمد الصحيفة السجادية، حيث بيّن لنا الإمام زين العابدين عليه السلام خطورتها وكيفية توغلها فينا، ومواردها ومصاديق شرورها فينا، فيقول عليه السلام: «إلهي إليك أشكو نفساً بالسوء أمّارة، وإلى الخطيئة مبادرة، وبمعاصيك مولعة، ولسخطك متعرّضة، تسلك بي مسالك المهالك،

وتجعلني عندك أهون هالك، كثيرة العلل، طويلة الأمل، إن مسها الشر تجزع، وإن مسها الخير تمنع، مائلة إلى اللعب واللهو، مملوءة بالغفلة والسهو، تسرع بي إلى الحوبة، وتسوفني بالتوبة»^(١).

وفي الحديث الشريف عن خير المرسلين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»^(٢)، فهي منشأ لكثير من المشاكل الروحية والإيمانية والإخفاقات والتي تتجلى في تسويق العمل الصالح.

وأما الشيطان الرجيم: فهو من جملة موانع الخير وارتقاء الإنسان نحو خالقه واغتنام عمره من خلال زرعه بذور التسويق والإهمال في الإنسان، وهذا أمر واضح وجلي، ألم يخبرنا الباري بمقولته المشهورة: كي نأخذ حذرنا منه، وهي: «قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأَعُوْبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ»^(٣)، وقال تعالى: «يَعِدُّهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا»^(٤)، وقال تعالى: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ»^(٥)، فهدفه اللعين هو أن يحاول إغوائنا بمختلف الوسائل، منها التسويق والأمانى الباطلة كيلا نحقق ما عجز عن تحقيقه، فقد ورد عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَام أنه قال: «لما نزلت هذه الآية: «وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً...»^(٦) صعد إبليس جبلاً بمكة يقال له: ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته، فاجتمعوا إليه!

١. الصحيفة السجادية، للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام، مناجاة الشاكين.

٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٦٧، ص٣٦.

٣. سورة ص، الآية ٨٢.

٤. سورة النساء، الآية ١٢٠.

٥. سورة فاطر، الآية ٦.

٦. سورة آل عمران: الآية ١٣٥.

فقالوا: يا سيِّدنا لِمَ دعوتنا؟

قال: نزلت هذه الآية، فَمَن لها؟

فقام عفريت من الشَّيَاطِين، فقال: أنا لها بكذا وكذا.

قال: لستَ لها.

فقام آخر، فقال: مثل ذلك.

فقال: لستَ لها.

فقال الوسواس الخَنَّاس: أنا لها.

قال: بماذا؟

قال: أعدهم وأمَّنِيهِمْ حَتَّى يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوا الخطيئة

أنسيتهم الاستغفار.

فقال: أنت لها.

فوكَّله بها إلى يوم القيامة».^(١)

أمَّا علاج التَّسويف والإهمال، والقضاء على هذا اللصِّ ومَن هو

كامن وراءه، فهو بالعمل وفق نصائح وإرشادات مَن أُعْطُوا جوامع

الحكمة والكلمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج ٦٠، ح ٦٤ ص ١٩٧.

وهذه نبذة من كلماتهم ونصائحهم، فاستر بها:

١. عن رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، إياك والتسوية بأملك، فإنك بيومك ولست بما بعده، فإن يكن غد لك، فكن في الغد كما كنت في اليوم، وإن لم يكن غد لك لم تدم على ما فرطت في اليوم».^(١)

٢. عن الإمام عليّ عليه السلام - فيما كتبه إلى بعض أصحابه -: «فتدرك ما بقي من عمرك، ولا تقل: غداً وبعد غد، فإنما هلك من كان قبلك بإقامتهم على الأماني والتسوية، حتى أتاهم أمر الله بغتة وهم غافلون».^(٢)

٣. وعنه عليه السلام: «فاتقى عبد ربّه...، فإن أجله مستور عنه، وأمله خادع له، والشيطان موكل به، يزين له المعصية؛ ليركبها، ويمنيه التوبة؛ ليسوّفها، إذا هجمت منيته عليه أغفل ما يكون عنها».^(٣)

٤. وعنه عليه السلام: «لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل، ويرجي التوبة بطول الأمل...، إن عرضت له شهوة أسلف المعصية، وسوّف التوبة».^(٤)

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٧٤، ح٣، ص٧٥.

٢. الكافي، الشيخ الكليني ج٢، ح٢٤، ص١٣٦.

٣. إرشاد القلوب، الشيخ حسن بن محمد الديلمي ج١، ص٣٢.

٤. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٧٤، ح٣٧، ص٤١٠.

تَرْكُ الْأَهْمِ وَالانْشغالِ بِالْمَهْمِ

وهذا اللص هو الرَّابِعُ من لصوصِ اغتنامِ العمرِ، ولا يلتفتُ إليه إلاَّ اللبيبُ العاقلُ والمسدَّدُ مع وضوحه مع أقلِّ تأمُّلٍ والتفاتٍ، فديدن العقلاء وسيرتهم أنَّهم لا ينشغلون بالمهمِّ إلاَّ مع عجزهم عن القيامِ بالأهمِّ، وإلا فالأولويةُ لديهم للأهمِّ ملاكًا ومصلحةً دائمًا، لأنَّه يكونُ أنجعَ طريقٍ وأفضلهُ؛ لنيلِ المطلوبِ، واغتنامِ العمرِ، وأكثرِ الطرقِ بركةً واستثمارًا، فالتاجر اللبيب لا ينشغل بمشاريع تدر عليه مئات الدنانير مع استطاعته القيام بما يجلب له الآلاف أو الملايين!

نعم، في صورة العجز، وعدم إمكان القيام بالمشروع الأكمل يختار الأقل كمالًا، وهكذا ينبغي للمؤمن العازم على اغتنام عمره، فعليه أولًا أن يتوجه قبل القيام بأي فعلٍ من الأفعال أو الأعمال لاختيار أفضل تلك الأعمال قيمة وتأثيرًا في ميزان حسناته؛ ليكون نصيبه من القرب الإلهي أكثر وأوفر.

وهذا ما ينشده العظماء والكمُّل من البشر ويسعون إليه، فمثلًا جاء في دعاء كميل هذا الطلب والرغبة من أمير المؤمنين عليه السلام، حيث يقول: «واجعلني من أحسن عبادك نصيبًا عندك، وأقربهم منزلة منك، وأخصهم زُلفَةً لديك».^(١)

وهذا الأمر إنَّما يتحقَّق بنحو كامل وجليٍّ حينما يختار العبد العمل الأتم والأكمل كما لا يخفى عليك.

ومن هذا المنطلق تجد النصوص الشرعية كثيرًا ما ترغَّب وتحثُّ على اختيار الأكمل والأجل ثوابًا من بين الأعمال؛ لنيل التَّمييز والرضا الإلهي أكثر، وهكذا كان ولا يزال ديدن الأولياء مع بارئهم وخالقهم، والحديث في هذا الحقل

١. مصباح المتَّهجد، الشيخ الطوسي، ص ٨٥٠.

له صور متنوعة نشير إلى ثلاث صور منها:

الصورة الأولى: ما يكون مصب الاختيار هو الأكمل من بين أمور راجحة شرعاً، واختياره موجب للوقوع في شدة ومشقة بدرجة ما، كاختيار صلاة النافلة عن قيام بدلاً عن الجلوس، وهذا الأمر راجح، والثواب فيه أجزل - كما هو واضح لديك - ويدل على كماله مجموعة نصوص منها:

١. عن النبي الأكرم ﷺ: «أفضل الأعمال أحمرها».^(١)

٢. روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ما ورد عليّ أمران قط لله فيهما طاعة إلا اخترت أشدهما على نفسي».^(٢)

٣. عن رسول الله ﷺ: «ما خير عمار بين أمرين إلا اختار أشدهما على بدنه».^(٣)

الصورة الثانية: إتمام العمل بالنحو الأتم والأكمل، فالصلاة مثلاً يمكنك أداؤها بالطيب ومن دونه، وبالسواك ومن بدونه، وبالخشوع ومن دونه، وهكذا، فالمؤمن يسعى لاختيار الأكمل من بين هذه الصور كأن يصلي متطيباً مستاكاً خاشعاً لله تعالى، لعمله أن ذلك موجب لمزيد ثواب وقرب من الله تعالى، وإن استلزم من التزامه بذلك وقوعه في شبي من المشقة أو التعب، روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن رسول الله ﷺ نزل حتى لحّد سعد بن معاذ، وسوّى اللين عليه، وجعل يقول: ناولني حجراً، ناولني تراباً رطباً، يسد به ما بين اللين، فلما أن فرغ وحثى التراب عليه، وسوى قبره قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم أنه سيبلني، ويصل

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج ٦٧، ص ١٦١.

٢. روضة المتقين في شرح ما لا يحضره الفقيه، العلامة المجلسي ج ٥، ص ٥٥٣.

٣. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج ٣١، ص ٢٠٣.

إليه البلاء، ولكن الله يحب عبداً إذا عمل عملاً أحكمه».^(١)

فإذا كان هذا تصرف النبي الأكرم ﷺ مع قبر من القبور، فكيف كان تصرفه مع العبادات من قبيل الصلاة وغيرها التي هي أهم ملاكاً ومصلة من تسوية القبر، وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن.

الصورة الثالثة: الاهتمام بالأحكام الالزامية غاية الاهتمام، وترجيحها على المستحبات والسنن، فلا ينخدع بالقيام ببعض الآداب والسنن عوضاً عن الفروض والواجبات، فلا يعقل أن يرضى بالصدقة المستحبة عوضاً عن الصدقة الواجبة (الزكاة) أو الخمس، وبمساعدة الآخرين مالياً مثلاً، فيترك أداء الحج الواجب، وهكذا، حيث إنه لا يسد مكان الحكم الإلزامي شيئاً من الآداب والسنن، فالسنن والآداب مهما بلغت تبقى أقل ثواباً وجزاءً منها، لذا جاز ترك السنن ولم يجز في ذلك، وهذا من بديهيات الدين الحنيف، وقد نبّهت النصوص الشرعية على ذلك، كما عن رسول الله ﷺ: «اعمل بفرائض الله تكن من أتقى الناس»^(٢)، وأتقى الناس: أي اقربهم لله تعالى، وهو أكثرهم اغتناماً للعمر كما هو جلي، وعن الإمام عليّ عليه السلام: «لا عبادة كأداء الفرائض»^(٣)، أي: لا عبادة على نحو الكمال والتمام كأداء الفرائض.

ولك أن تقول: لا عبادة كاملة يغنم الإنسان منها تمام الغنم كأداء الفرائض.

وعنه عليه السلام: «إنك إن اشتغلت بفضائل النوافل عن أداء الفرائض، فلن يقوم فضل تكسبه بفرض تضييعه».^(٤)

١. وسائل الشيعة، الشيخ الحر العاملي ج٣، ح٦٠، ص٢٣٠.

٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٦٨، ح١٢، ص٢٠٦.

٣. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٦٨، ح٢٠، ص٢٠٨.

٤. عيون الحكم والمواعظ، الشيخ علي بن محمد الليثي الواسطي، ص١١٧.

الرِّياء

وعدم الإخلاص لله وَعَلَىٰ

الرِّياء: هو آخر لُصِّ من لصوص العمر في حديثنا، وهو من أهمها وأخفها لدى الإنسان، مع أنَّ الرِّياء من صنع الانسان نفسه، وأكثرنا تساهلاً معه، مع أن التخلص منه، والإخلاص في العمل هو معيار قبول الأعمال لدى المولى، فالمرائي يضرب بعمله عرض الجدار مهما كان شاقاً وعظيماً، بل يلف عمل الرائي، ويضرب به وجهه، حيث أراد بعمله غير الله تعالى.

ومعنى الرِّياء: يبيئته السيّد الإمام الخميني قائلاً: «اعلم أنَّ الرِّياء هو عبارة عن إظهار وإبراز شيءٍ من الأعمال الصَّالحة، أو الصفات الحميدة، أو العقائد الحقَّة الصحيحة، للناس لأجل الحصول على منزلة في قلوبهم والاشتهار بينهم بالصَّلاح والاستقامة والأمانة والتدين، بدون نية إلهية صحيحة، وهذا الأمر يتحقق في عدة مقامات.

المقام الأوَّل: وله درجتان:

الأولى: وهي أنَّ يظهر العقائد الحقَّة والمعارف الإلهية؛ من أجل أن يشتهر بين النَّاس بالديانة؛ ومن أجل الحصول على منزلة في القلوب، كأن يقول: (إنِّي لا أعتبر أنَّ هناك مؤثراً في الوجود إلا الله)، أو أنَّ يقول: (إنِّي لا أتوكَّل على أحد سوى الله)، أو أن يثني على نفسه كناية أو إشارة بامتلاك العقائد الحقَّة، وهذا الأسلوب هو الأكثر رواجاً، فمثلاً عندما يجري حديث عن التَّوَكُّل أو الرضا بقضاء الله، يجعل الشخص المرئي نفسه في سلك أولئك الجمع بواسطة تأوُّهه أو هزُّ رأسه.

الثَّانِيَّة: وهي أَنْ يبعد عن نفسه العقائد الباطلة، وينزه نفسه عنها؛ لأجل الحصول على الجاه والمنزلة في القلوب، سواء أكان ذلك بصراحة القول أم بالإشارة والكناية.

المقام الثاني: وفيه أيضاً مرتبتان:

إحدهما: أَنْ يظهر الخصال الحميدة والمَلَكَاتِ الفاضلة، والأخرى: أَنْ يتبرأ ممَّا يقابلها، وَأَنْ يركي نفسه للغاية نفسها التي أصبحت معلومة.

المقام الثالث: وهو الرِّياء المعروف عند الفقهاء الماضين (رضوان الله عليهم)، وله أيضاً نفس تلكما الدرجتين:

إحدهما: أَنْ يأتي بالأعمال والعبادات الشرعية، أو أَنْ يأتي بالأمر الراجحة عقلاً، بهدف الرِّياء أمام الناس، وجلب القلوب، سواء أَنْ يأتي بالعمل نفسه بقصد الرياء، أم بكيفيته، أم شرطه، أم جزئه بقصد الرياء على الشكل المذكور في كتب الفقهية.

ثانيهما: أَنْ يترك عملاً محرماً، أو مكروهاً بنفس الهدف المذكور.^(١)

وبعد اتّضح معنى الرياء وأقسامه، نشير إلى بعض الروايات التي تدل على حرمة، ولزوم التخلص منه؛ كي لا يخسر الإنسان عمره بسوء تقديره واختياره:

١. عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ!»

قيل: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟

قال: الرِّياء.

١. الأريعون حديثاً، السيد الامام الخميني، ص ٤٥-٤٦.

قال: يقول الله ﷻ يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، هل تجدون عندهم ثواب أعمالكم». (١)

٢. وعنه ﷺ: «قال: «وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجا به من خلق حسن، وصمت وذكر كثير، تشيعه ملائكة السماوات السبعة بجماعتهم، فيطؤون الحجب كلها حتى يقوموا بين يديه، فيشهدوا له بعمل صالح ودعاء، فيقول الله: أنتم حفظة، عمل عبدي، وأنا رقيب على ما نفسه عليه، لم يردني بهذا العمل، عليه لعنتي، فيقول الملائكة: عليه لعنتك ولعنتنا». (٢)

٣. وعنه ﷺ: «إن المرأى ينادى يوم القيامة: يا فاجر، يا غادر، يا مرأى، ضل عمك، وبطل أجرك، اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له». (٣)

٤. وعنه ﷺ: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به، فعرّفه نعمه، فعرّفها، قال: فما عملت فيها؟

قال: قاتلت فيك حتى استشهدت.

قال: كذبت، ولكنك قاتلت؛ ليقال جريئ، فقد قيل ذلك، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار». (٤)

علامات المرأى

عن الإمام عليّ عليه السلام: «للمرأى أربع علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا اثني عليه، وينقص منه إذا لم يثن عليه». (٥)

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٦٩، ص ٢٦٦.

٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٦٧، ح ٢٠، ص ٢٤٨.

٣. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٦٩، ح ١٩، ص ٢٥٩.

٤. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٦٧، ح ٢٤، ص ٢٤٩.

٥. ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري ج ٤، ح ٦٨٠٧، ص ٣٠.

وطريق الخلاص من هذا اللص ومعضلة الرِّياء هو الإخلاص في العمل
 لله تعالى - رزقنا الله ذلك بجوده وكرمه - ، وهذه بعض الروايات في الإخلاص
 ترغيباً للنفس؛ لتحصيله:

١. عن رسول الله ﷺ: «مخبراً عن جبرئيل عن الله ﷻ أَنَّهُ قَالَ: الْإِخْلَاصُ
 سر من أسراري، استودعته قلب مَنْ أَحَبَبْتُ مِنْ عِبَادِي».^(١)

٢. وعنه ﷺ: «بِالْإِخْلَاصِ تَتَفَاضَلُ مَرَاتِبُ الْمُؤْمِنِينَ».^(٢)

٣. وعن الإمام عليّ ﷺ: «كَلَّمَا أَخْلَصْتَ عَمَلًا بَلَغْتَ مِنَ الْآخِرَةِ أَمَلًا».^(٣)

٤. الإمام الصادق ﷺ: «وَلَا بَدْءَ لِلْعَبِيدِ مِنْ خَالِصِ النَّيَّةِ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ، إِذْ
 لَوْلَمْ يَكُنْ بِهَذَا الْمَعْنَى يَكُونُ غَافِلًا، وَالغَافِلُونَ قَدْ وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿... إِنْ هُمْ
 إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضْلُ سَبِيلًا﴾».^{(٤) (٥)}

٥. وعنه ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى عِبَادًا عَامِلُوهُ بِخَالِصٍ مِنْ سِرِّهِ، فَقَابَلَهُمْ بِخَالِصٍ
 مِنْ بَرِّهِ، فَهَمُ الَّذِينَ تَمَرَّ صَحْفَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَارْعًا، فَإِذَا وَقَمُوا بَيْنَ يَدَيْهِ مَلَاهَا
 لَهُمْ مِنْ سِرِّ مَا أَسْرُوا إِلَيْهِ».

فقلت: وكيف ذلك يا مولاي؟

فقال: أجلهم أن تطلع الحفظة على ما بينه وبينهم».^(٦)

اللَّهُمَّ، وَقِّعْنَا لِلْعِلْمِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَاجْعَلْ أَعْمَالَنَا خَالِصَةً لَوَجْهِكَ الْكَرِيمِ.

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٦٧، ح٢٤، ص٢٤٩.

٢. ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري ج٣، ح٤٧٤، ص٥٧.

٣. عيون الحكم والمواعظ، الشيخ علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٣٩٦.

٤. سورة الفرقان، الآية ٤٤.

٥. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٦٧، ح٣٢، ص٢١٠.

٦. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٦٧، ح٧، ص٢٥٢.

بذور اغتنام العمر

هناك بذور كثيرة وطرق عديدة من الله بها علينا؛ لاغتنام أعمارنا، ونيل الزلفى لديه، لنحظى بالسعادة الأبدية والدينية، وما ذلك إلا جوداً وكرماً منه سبحانه وتعالى، ومن جملة تجليات ذلك الجود والكرم الإلهي أن جعل الحسنه الواحدة بعشرة أضعافها والسيئة بواحدة، قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ❖ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١).

بل أعظم من ذلك، كما في الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أحسن المؤمن عمله ضاعف الله عمله لكل حسنة سبعمائة، وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿... وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ...﴾» (٢).

وهناك ألطاف أخرى - تشويقاً منه تعالى؛ لاستثمار أعمارنا - تجاوزنا عن ذكرها؛ بغية الاختصار، ولما سيأتي بعضها في طيات حديثنا، فعلى العاقل أن يغتنم عمره؛ لتحصيل هذه البذور؛ ليحني ثمارها يوم لقائه بأضعاف ما كان يتصوره.

وأما بذور الأعمال الصالحة الموجبة لاغتنام العمر وسعادة الإنسان، فأليك عناوينها الرئيسية، وسيأتي - إن شاء الله تعالى - الحديث عنها بما يناسب غرض تدوين الكتاب:

١. سورة الأنعام، الآية ١٦٠.

٢. سورة البقرة، جزء من الآية ٢٦١، والآية هي: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

٣. الأمامي، الشيخ الطوسي، ح ٣٨، ص ٢٢٤.

١ . فعل الواجبات، فهو أكمل الطاعات، وإلا لما أوجبها علينا.

٢ . تحويل المباحات إلى مستحبات.

٣ . اختر المطلوب الأكمل والأتم.

٤ . انطلق نحو اختيارات نوعيّة.

٥ . الصدقة الجارية.

القيام بالواجبات

ثبت - في محلّه في علم أصول الفقه - أنّ الأحكام الشرعية نتاج الملاكات الكامنة في متعلقاتها، فالمولى - على سبيل المثال - لم يوجب الصلاة، أو العدل علينا إلا لما فيهما من مصالح شديدة أبي وَعَلَى تركها وعدم تحصيلها، وكذلك حرّم علينا الخمر والظلم لما فيهما من مفسد شديدة اقتضى التشريع الإلهي زجرنا زجرًا الزامياً؛ كي لا نوقع فرداً منها في عالم التّكليف والدنيا، وهذا بخلاف الاستحباب والكرهية، فإنّهما وإنّ كانا مشتملتين على المصلحة أو المفسدة، ولكنهما ليسا بدرجة شديدة جدًّا، لذا أجاز المولى لنا في ترك المستحب، أو فعل المكروه.

وعلى هذا الأساس نعرف أنّ الواجبات والمحرمات هما من أبرز أهم الأحكام الربانية في عالم التشريع، وحيث تحدثنا سابقاً عن المحرمات، فقد بقي علينا الحديث عن الواجبات، فنقول:

الواجبات هي محل اهتمام المولى أكثر من غيرها، حيث من خلالها ينال الإنسان المصالح الشديدة الكامنة في تلك الواجبات، وعليه يكون الأجر والثواب فيه أجزل وأوفر لما تحتوي الواجبات من ملاكات شديدة غير متحققة في غيرها من الأحكام كالمستحبات والسنن، لهذا تكون خارطة طريق اغتنام العمر لا بدّ وأنّ تبدأ منها.

فعلى المرید لاغتنام عمره المتبقي أن لا يفوت حكماً وجوبياً واحداً على نفسه، ويقضي ما يجب قضاؤه ممّا فاتته، تحصيلاً ونيلاً لتلك المصالح الكامنة في قضاؤها.

واعلم أنَّ الاستخفاف بالواجبات استخفافاً بالعمر الإنساني بأعلى درجات الاستخفاف والاستهتار به، ونصيب المستخف بها النار الحامية دون شكٍ أو ريب، إذ أنَّ معيار إيمان وعدالة الإنسان بالمنظور الشرعيّ متوقف على انضباطه بالأحكام الشرعية الالزاميّة - الوجوب والحرمة -، أو عدم التزامه، فالملؤم العدل من يلتزم بها، والفاسق هو الذي لا يلتزم بتلك الاحكام.

ومن هنا، علينا شحذ الهمم؛ لامتنال وطاعة جميع الواجبات الشرعية الفعلية علينا، وبهذا السبيل نرجو حسن العاقبة والفوز بجنان الخلد.

ويمكنك الاستفادة مما ذكرناه من روايات في بحث «ترك الأهم والانشغال بالمهم»، من الصورة الثالثة منه؛ لمعرفة أهمية فعل الواجبات وقيمة الالتزام بها؛ لتحريك الهممة نحوها.

أجن من المباحات الأجر والثواب

الطريقة الثانية والمفيدة؛ لاغتنام أعمارنا المتبقية، هي السعي قدر المستطاع من استثمار فرص المباحات لجني مزيد من الأجر والثواب، وتظهر قيمة هذه الفكرة حينما ننظر إلى الكم الهائل من الساعات التي نقضيها في أيامنا وليالينا في المباحات الأولية كالأكل والشرب والنوم، والأحاديث الجانبية وغير ذلك، وكم هذه الساعات تتحول إلى سنين من أعمارنا في نهاية المطاف.

فمثلاً: لو حسبنا ساعات عبادتنا اليومية، فقلنا: إن صلواتنا الخمس وقرآتنا للقرآن الكريم، وبعض الأدعية وأمور أخرى عبادية تستغرق منّا ثلاث إلى أربع ساعات يومياً، وهذا أقصى طاعتنا لله رب العالمين في اليوم الواحد، فتكون نتيجتها تتراوح بين خمس سنوات ونصف إلى سبع سنوات ونصف عبادة تقريباً، بدءاً من سنّ تكليف الرجل فيما لو عاش ستين سنة.

في حين يمكننا أن نجعل كل أو أغلب ساعات أعمارنا بدءاً من سنّ البلوغ إلى الممات - أي خمس وأربعين سنة - طاعة لله وطريقاً لوصاله، فنكون من أفضل المستثمرين لأعمارنا، حيث صيرنا العمر كله أو أغلبه في طاعة الله تعالى.

وطريقة ذلك: أن نضيف إلى أعمالنا المباحة من الأكل والشرب والنوم والعمل وغير ذلك نية راجحة شرعاً، ونتقرب بهذه النية الرّاجحة لله تعالى حين القيام بالمباح.

نعم، فمن خلال إضافة نكهة العبادية للمباحات تنال الأجر والثواب، فتضم نية حسنة شرعية إلى المباح الذي تريد القيام به، فمثلاً تنوي حين القيام

بأيّ مباح من المباحات، فتقول ناويًا: إلهي، سوف أخلد للنوم لا من أجل النوم، ولكن من أجل أن أتقوى به على طاعتك وامتنال أوامرك، ولكي أستطيع القيام نشيطًا؛ للسعي في كد العيش الحلال لعيالي وبالنحو الذي تحبّه، فيكون نومك هذا طريقًا؛ كي تثاب عليه، وأيضا تقوم بهذه العملية القصدية في الأكل والشرب، و... إلخ، فتتوي بها سبيلاً للتقوي، وللقيام بما ينبغي القيام به من خدمة المؤمنين، والتعلّم، وقراءة القرآن الكريم، والأدعية المأثورة، وغير ذلك، وحتى الجلوس مع الإخوة والإنس بمجالستهم تنوي أنّها لله تعالى، وكذا في استحباب التزاور بين المؤمنين، وغير ذلك من النيات، فتثاب مع كلّ فعل مباح لأنك أضفت عليه ما تستحقُّ به الأجر والثواب، وما هذا إلا مظهر من مظاهر عظيم لطف الله ورحمته على العباد.

وقد نصّت النصوص الشرعية على ذلك، ورغب الشارع أيّما ترغيب في الأمر، وإليك بعض تلك النصوص الدالة على ذلك:

١. عن رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر؛ ليكن لك في كلّ شيء نية صالحة حتى في النوم والأكل»^(١).

٢. عن الإمام زين العابدين عليه السلام - في الاشتياق إلى طلب المغفرة - : «اللهم، فصلّ على محمد وآله، واجعل همسات قلوبنا، وحركات أعضائنا، ولمحات أعيننا، ولهجات ألسنتنا... في موجبات ثوابك، حتى لا تفوتنا حسنة نستحق بها جزاءك، ولا تبقى لنا سيئة نستوجب بها عقابك»^(٢).

١. مكارم الأخلاق، الشيخ الطوسي، ص ٤٦٤.

٢. الصحيفة السجادية، للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، دعاؤه في اللجوء إلى الله تعالى، ص ٦١.

٣. عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا بدَّ للعبد من خالص النِّيَّةِ في كلِّ حركة وسكون، لأنَّه إذا لم يكن هذا المعنى يكون غافلاً». ^(١)

وهناك نحو آخر تستطيع نيل الثواب عليه وهو يسير جدًّا، ألا وهو إضافة عنوان أو عناوين أخرى محبوبة لله تعالى للفعل الواحد الذي تريد القيام به، مع نية صادقة حقيقية، فمثلًا حينما تذهب للمسجد؛ لإقامة الصلاة فهو في نفسه مطلوب شرعًا، وتثاب عليه، ولكن يمكنك أيضًا حينما تذهب لصلاة الجماعة تضيف على النية السابقة أنك تسعى لقضاء حوائج المؤمنين المصلين في المسجد، والتنفيس عن كربهم إن استطعت، فتثاب هنا على أمرين: الصلاة، ونية قضاء حوائج المؤمنين، ويمكنك - أيضًا - إضافة مجموعة من النيات الراحجة، فيزداد أجرك على هذه النيات، فتقصد مثلًا بتطيبك علاوة على استحبابه للصلاة أن تكون سببًا لارتياح المؤمنين الذين هم بقربك لشمهم منك روائح طيبة تروّج عن أنفسهم ولو بعض اللحظات المعدودة التي يقضيها بجانبك، وهكذا يمكنك أن تفتح لنفسك أبواب الخير بعمل واحد، ونية طيبة صادقة، فترتقي كمًّا وكيفًا في العمل.

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج ٦٧، ح ٣٢، ص ٢١٠.

ليكن خيارك الأكمل والأتم

جاء في مستهلّ دعاء في مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين عليه السلام:
«وانته بيّتي إلى أحسن النّيّات، وبعملي إلى أحسن الأعمال، اللهمّ وقرّ بطفك
نيّتي». (١)

وحدثنا في هذا المحور حول جانب من جوانب قوله عليه السلام: «وبعملي إلى
أحسن الأعمال».

فالمطلوب لدى الأولياء والصّالحين والصّدّيقين هو السّعي والرّغبة الأكيدة لبلوغ
أحسن الأعمال، وأفضلها، وفي هذا الصّدّد نقول:

هناك الكثير من الأعمال المطلوبة، ولكنّ نوع ودرجة مطلوبيّتها متفاوتة
في الشّدّة والضعف، وقد وقع الطلب المولوي على كلّ هذه المراتب من العمل،
وينبغي للمؤمن أنّ يختار الأكمل والأتم من صور المطلوب، ولم يلزمنا المولى بها؛
كي يبقى العبد في سعة من أمره، وعدم إيقاعه في الحرج أو المشقة في بعضها
الآخر، فمثلاً الصّلاة في نفسها مطلوبة، ولكن رغبتنا الشّارع بالتطّيب حينما نريد
إقامة الصّلاة، كما حتّى أيضاً على السواك حينها، وبالخشوع فيها، وأدائها في
المسجد، وأفضل المساجد الجوامع، والأكمل الصور المتقدّمة أن تأتي بها جماعة،
وهكذا.

فهذه كلها صور مطلوبه للصّلاة، ولكلّ واحد من تلك الآداب المطلوبة

١. الصحيفة السجادية، للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، دعاؤه في «مكارم الأخلاق»، ص ٩٩.

عطاء ربانيًا، فلا بدّ للإنسان الرشيد ذي الهمة العالية أن يختار قدر المستطاع أكمل صورة للمطلوب وأعلاها فضلًا؛ لينال من ذلك العطاء الأوفر والأجزل من لدن اللطيف الرحيم.

وهذا البحث - بحث تعدد المطلوب كما يسمّيه الفقهاء والأصوليون - بحث شريف، ويمكننا تطبيقه في كثير من الموارد الشرعية، فنفوز بعظيم الأجر والثواب، وتكون فرصتنا للسعادة الأبدية أكثر وأوكد، ولكي نعي كمال ودور هذا السلوك في الأجر والثواب نطبقه عمليًا على مثال الصلاة المتقدمة، ونلاحظ أجزائها الشرعي مع كلِّ مطلوب نسعى؛ لتحقيقه وتجسيده خارجًا، وإليك نماذج ثلاثة بغية الاختصار:

١. فضل صلاة المتطيب: عن أبي عبد الله عليه السلام: «صلاة متطيب أفضل من

سبعين صلاة بغير طيب».^(١)

٢. فضل الصلاة بسواك: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ركعتان بسواك أفضل من

سبعين ركعة بغير سواك».^(٢)

٣. فضل المشي للمسجد، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: قال: «من مشى إلى مسجد

من مساجد الله، فله بكل خطوة خطاها حتى يرجع إلى منزله عشر حسنات،

ومحى عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات».^(٣)

١. الكافي، الشيخ الكليني ج٦، ص٧، ح٥١١.

٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٣٤، ح٧٣، ص١٣٣.

٣. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٨٠، ح٢٥، ص٣٦٨.

اختيارات نوعية من الأعمال

هناك بعض الأعمال من الآداب والسُنن الشرعية لها مزية متميزة من الأجر والعطاء الإلهيين في جهات عدّة، فينبغي للمؤمن اغتنام بعض هذه الأعمال اليسيرة والسهلة، والمواظبة عليها؛ لتأثيرها المباشر في سجل اغتنام العمر ولحظاته، ومن جملة تلك الأعمال المواظبة على الطّهارة، والتختم باليمين، وغيرهما كثير.

فعلى سبيل المثال، فإننا نلاحظ أنّ الأجر الرباني قبال هذين الأمرين يستمر باستمرار التلبُّس بهما، فالمتوضّئ - مثلاً - ما دام على الوضوء، ولم يتقضه، فإنّه في طاعة والملائكة يكتبون له الأجر ما لم يحدث وينتقض وضوؤه، وكذلك الأمر بالنسبة للتختم فإنّه من جملة المستحبّات الشرعية وهو من علامات المؤمن كما في بعض الأخبار⁽¹⁾، فما دام العبد ملتزمًا بالتختم، فهو في طاعة لامتثاله سنة من سنن النبي الأكرم ﷺ، لذا يستحقُّ نيل الثواب عليه مع كلّ لحظة لحظة تمرُّ عليه وهو متختم بالخاتم، حيث كان بإمكانه نزع الخاتم ولم ينزعه حبًّا منه؛ للاقتداء بسيرة النبي الأكرم ﷺ، وسنته.

وهناك نموذج آخر لعنوان حديثنا يمكنك الاستفادة منه؛ للإكثار من الأجر والثواب، وهو من جملة الأعمال الخفيفة على اللسان وثقيلة في الميزان، وذلك كبعض الأذكار والأوراد الواردة، فتملأ بها وقت فراغك، فتثقل به ميزان حسناتك، إليك ثلاثة نماذج؛ من أجل الترغيب في ذلك:

١. فقد ورد عن مولانا الحسن بن علي العسكري (صلوات الله عليه) أنه قال: «علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم». إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس، ج ٣، ص ١٠٠.

١- الإقرار بالتوحيد من أفضل الأعمال

عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَ أَفْضَلَ النَّاسِ ذَلِكَ الْيَوْمَ عَمَلًا إِلَّا مَنْ زَادَ». (١)

٢- الصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَالْآلِ طَرِيقٌ لِنَيْلِ الْفِيوضَاتِ

قال الإمام الصادق عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم لعلي عليه السلام: أَلَا أَبْشُرُكَ؟

فقال عليه السلام: بلى، بأبي أنت وأمي، فإنك لم تزل مبشراً بكل خير.

فقال صلى الله عليه وآله: أَخْبَرَنِي جَبْرَائِيلُ أَنفًا بِالْعَجَبِ.

فقال له عليه السلام: وما الذي أخبرك يا رسول الله؟

قال صلى الله عليه وآله: أَخْبَرَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ أُمَّتِي إِذَا صَلَّى عَلَيَّ، وَأَتْبَعَ الصَّلَاةَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِي فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَصَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ سَبْعِينَ صَلَاةً، وَأَنَّهُ لِمَذْنَبٍ وَخَاطِئٍ، ثُمَّ تَحَاتُّ عَنْهُ الذُّنُوبُ كَمَا يَتَحَاتُّ الْوَرَقُ مِنَ الشَّجَرِ، وَيَقُولُ: اللَّهُ وَجَلَّ جَلَلُهُ: لِبَيْتِكَ عَبْدِي وَسَعْدِيكَ.

ويقول لملائكته: يا ملائكتي، أنتم تصلون عليه سبعين صلاة وأنا أصلي عليه سبع مئة صلاة، وإذا صلى عليّ، ولا يتبع بالصلاة على أهل بيتي كان بينه وبين السماء سبعين حجاباً، ويقول الله (جلّ جلاله): لا لبئيك، ولا سعديك.

يا ملائكتي، لا تصعدوا دعاه إلا أن يلحق بنبيّ عترته، فلا يزال محجوباً حتى يلحق بي أهل بيتي». (٢)

١. ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، ص ١٥٧.

٢. روضة الواعظين، ص ٣٢٥.

٣- سورة التوحيد من كنوز النشأتين

فضل الإكثار والإدمان على قراءة سورة التوحيد: عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يَدْعُ أَنْ يَقْرَأَ فِي دَبْرِ الْفَرِيضَةِ بِ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١)، فَإِنَّهُ مَنْ قَرَأَهَا جَمَعَ اللَّهُ لَهُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَغُفِرَ اللَّهُ لَهُ، وَلِوَالِدَيْهِ، وَمَا وَلَدٌ».^(٢)

وروي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ صَلَّى عَلَى سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ، فَقَالَ: «لَقَدْ وَافَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ تِسْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ وَفِيهِمْ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام يَصَلُّونَ عَلَيْهِ».

فقلت له يا جبرئيل، بما استحقت صلاتك عليه؟

فقال: بقراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٣) قائماً، وقاعداً، وراكباً، وماشياً، وذاهباً، وجائياً».^(٤)

فلنغتتم هذه الكنوز ونظائرها من النفحات الربانية ما دامت الفرصة سانحة، ومنه نطلب التوفيق والسداد؛ للقيام بهذه الآداب والسنن.

١. الإخلاص: ١.

٢. ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، ص ١٢٨.

٣. الإخلاص: ١.

٤. ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، ص ١٢٨.

ليكن عطاؤك مستمرًا وإن كنت ميتًا!

يتصوّر البعض أنّ بانتهاء أجل الإنسان وعمره، ينتهي بذلك زمن الأذخار في صحيفة أعماله، وتُفزل الصحيفة، وهذا وهمٌ ويعيد عن الصواب.

فهذا الواهم جاهل عن سعة رحمة الله، ولطفه بالعباد، إذ قد ثبت في الشريعة أنّ الله تعالى بلطف جوده وإحسانه فتح لعبده أبوابًا أخرى يمكنه الاستفادة منها، بحيث يمكنه الاستزادة من رصيد حسناته ومبرّاته، مع أنّه ميت مدفون في القبر، فتصله ثمار أعماله فيزداد نعيمًا وخيرًا وهو تحت التراب، رميم العظام، فالعاقل الكيس من ينتهز هذه الأبواب الرحيمية المفتوحة؛ ليحظى بمزيد اغتنام للخيرات - وسوف نشير إلى بابين بنحو من الإيجاز لتلك الأبواب التي تجسّد وتظهر مظاهر كرم الله على العباد -، وعليك الاختيار:

الباب الأول: الصدقة الجارية

١- عن رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».^(١)

٢- وفي حديث آخر: «سبعة أسباب يكتب للعبد ثوابها بعد وفاته: رجل غرس نخلاً، أو حضر بئرًا، أو أجرى نهرًا، أو بنى مسجدًا، أو كتب مصحفًا، أو ورث علمًا، أو خلف ولدًا صالحًا يستغفر له بعد وفاته».^(٢)

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٢، ح٦٥، ص٢٢.

٢. ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري ج٤، ح١٣٩٨٨، ص١٤.

من خلال هذين الحديثين ونظائرهما فَهَمَّ الفقهاء (أَعَزَّهُمَ اللهُ بِعَزِّهِ) أَنَّهُ يمكن للعبد الاستفادة من كلِّ عملٍ راجحٍ شرعاً له شأنية الدوام، والبقاء؛ للاستزادة من الثواب الإلهي مدّة بقاء هذا العمل أو ذاك البناء، وكأنَّ هذا العمل يعطي الإنسان عمراً إضافياً بقدر بقاءه واستفادة الخلق منه، وعنونوا هذا العمل بعنوان الصدقة الجارية، مستلهمين العنوان ممّا ورد في الحديث الأول المتقدم.

ولعلَّ وجه تسمية هذا العمل بالصدقة الجارية، هو لجريان واستمرار عطائه وخيره، ويدخل في الصدقة الجارية العناوين المتقدمة في الحديث الثاني المتقدم، وغيرها كبناء المدارس، والحوزات، والحسينيات، والمستشفيات، وغير ذلك، كما لا يجب الاستقلال بمفردك بعمل من هذا الصنف، فيكفي المساهمة مع الآخرين؛ للقيام بمشروع خيري؛ لنيل الأجر والثواب بقدر مساهمتك فيه وإخلاصك فيه طبعاً.

الباب الثاني: ما يطابق الصدقة الجارية في الأجر

من أبواب اللطف الإلهي؛ لاستثمار نتاج الطاعات إلى ما بعد الموت، بل لعل في بعضها يكتب له الأجر إلى يوم القيامة والحشر، وهي مجموعة أمور نشير إلى بعضها؛ لفتح آفاق الفكر في هذا المجال:

١. أن تسنَّ سنة حسنة

فعن رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ سَنَةً حَسَنَةً عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، كَانَ لَهُ أَجْرُهُ، وَمِثْلُ أَجْرِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ سَنَّ سَنَةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهُ وَمِثْلُ أَوْزَارِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئاً».^(١)

١. ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، ص ١٢٨.

فاسعَ تمام السَّعي أنْ لا تكون إلا مرآةً للكمال والجمال الإلهيِّين في الخلق، ولك في الرُّسول والأئمة الطاهرين، ومَن اقتضى آثارهم أسوةً وقدوةً، فكلُّ عمل خير سنُّوه وروَّجوه بين الناس ينالون منه الأجر والثواب، فكن كذلك مروِّجاً لكلِّ خير بلسانك، وأفعالك، وأخلاقك، كما أنَّ الحذر كلَّ الحذر أن يتعلم منك إنسان، أو يتأثر منك شخص في الجانب السلبي، فعليك كما عليه من الوزر والعقاب، كما يستفاد من الخبر المتقدم، فأولُّ مَنْ صنع الخمر - مثلاً - عليه وزر عمله، ووزر كلُّ شارب خمر إلى يوم القيامة، وهم يتحملون - أيضاً - وزر عملهم.

٢. اغتنم النفحات الربَّانية

ورد عن رسول الله ﷺ: «إنَّ لربكم في أيَّام دهركم نفحاتٍ، فتعرَّضوا له لعلَّه أن يصيبكم نفحة منها، فلا تشقون بعدها أبداً»^(١).

وهذه النفحات كثيرة منها ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «بيَّنا أمير المؤمنين عليه السلام قاعدٌ ومعه ابنه محمدٌ إذ قال: يا محمدُ، اتَّبتني بإناءٍ من ماءٍ، فأتاه به فصبَّه بيده اليمنى على يده اليسرى، ثمَّ قال: الحمدُ لله الذي جعل الماء طهوراً، ولم يجعله نجساً.

ثمَّ استنجى، فقال: اللهمَّ، حصِّنْ فرجِي، وأعِفْه، واسترَّ عورتِي، وحرِّمها على النَّار.

ثمَّ استنشَق، فقال: اللهمَّ، لا تُحرِّم عليَّ ريحَ الجنَّةِ، واجعلني ممن يشمُّ ريحَها، وطيبَها، وريحانَها.

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج ٨٤، ح ٦٤، ص ٢٦٧.

ثُمَّ تَمَضَّمَصَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، أَنْطِقْ لِسَانِي بِذِكْرِكَ، وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ تَرْضَى عَنْهُ.

ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، بَيِّضْ وَجْهِي يَوْمَ تَسْوَدُ فِيهِ الْوُجُوهُ، وَلَا تُسْوَدْ وَجْهِي يَوْمَ تَبْيِضُ فِيهِ الْوُجُوهُ.

ثُمَّ غَسَلَ يَمِينَهُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، أَعْطِنِي كِتَابِي بِيَمِينِي، وَالْخُلْدَ بِيَسَارِي.

ثُمَّ غَسَلَ شِمَالَهُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، لَا تُعْطِنِي كِتَابِي بِشِمَالِي، وَلَا تَجْعَلْهَا مَغْلُولَةً إِلَيَّ عُنُقِي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ مَقْطَعَاتِ النَّيِّرَانِ.

ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، غَشِّنِي بِرَحْمَتِكَ، وَبَرَكَاتِكَ، وَعَمُوكَ.

ثُمَّ مَسَحَ عَلَى رِجْلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، نَبِّتْ قَدَمَيَّ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزُلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ، وَاجْعَلْ سَعْيِي فِيمَا يُرْضِيكَ عَنِّي.

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَنْ تَوَضَّأَ بِمِثْلِ مَا تَوَضَّأْتُ، وَقَالَ مِثْلَ مَا قُلْتُ خَلَقَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ قَطْرَةٍ مَلَكًا يُقَدِّسُهُ، وَيُسَبِّحُهُ، وَيُكَبِّرُهُ، وَيُهَلِّلُهُ، وَيَكْتُبُ لَهُ ثَوَابَ ذَلِكَ»^(١).

فإنَّ هذا الخبر الشَّرِيفَ، يدلُّ على أمرٍ في غاية الأهمية والرَّوعة، وهو أنَّ العبد مع الالتزام بالأدعية والأذكار الواردة في هذه الرواية، يكون سبباً للإحاطة الربَّانيَّة بحيث يخلق له من كلِّ قَطْرَةٍ مَلَكًا يُقَدِّسُهُ، وَيُسَبِّحُهُ، وَيُكَبِّرُهُ، وَيُهَلِّلُهُ، وَيَكْتُبُ لَهُ ثَوَابَ ذَلِكَ».

١. ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، ص ١٦.

فكم هذا لطف عظيم من ربّ عظيم لعبد لئيم، حيث يريد منه تعالى
أنّ يغتنم هذه الفرص؛ لينال السعادة في النشاطين، فعلينا الاستفادة من ذلك قدر
المستطاع، ومن نظائرها.

المشاركة والمراقبة والمحاسبة

ولتحقيق وتجسيد ما بيناه سابقاً بدرجة عالية وجودة فائقة، لا بدّ للعبد من المجاهدة من خلال المشاركة والمراقبة والمحاسبة لأقواله، وأفعاله، وحركاته، وسكّاناته طيلة أيّامه المتبقية في الحياة.

ولإيضاح ذلك وبيانه، نكتفي بنقل ما خطّه السيّد الإمام الخميني (قدس سره) في كتابه القيم «باب جهاد النفس»؛ لتطبيقه على ما قلناه سابقاً، حيث قال: «ومن الأمور الضّرورية للمجاهد: (المشاركة، والمراقبة، والمحاسبة).

فالمشارطة: هو الذي يشارط نفسه في أول يومه على أن لا يرتكب اليوم أيّ عمل يخالف أوامر الله، ويتخذ قراراً بذلك ويعزم عليه.

وواضح أن ترك ما يخالف أوامر الله ليوم واحد، أمر يسير للغاية، ويمكن للإنسان ببسر أن يلتزم به، فاعزم، وشارط، وجرب، وانظر كيف أن الأمر سهل يسير.

ومن الممكن أن يصوّر لك إبليس اللعين وجنده أن الأمر صعب وعسير، فأدرك أن هذه هي من تلبيسات هذا اللعين، فاعنه قلباً وواقعاً، وأخرج الأوهام الباطلة من قلبك، وجرب ليوم واحد، فعند ذلك ستصدق هذا الأمر.

وبعد هذه المشاركة عليك أن تنتقل إلى (المراقبة)، وكيفيةها: هي أن تتبّه طوال فترة المشاركة إلى عملك وحقّها، فتعتبر نفسك ملزماً بالعمل وفق ما شارطت.

وإذا حصل - لا سمح الله - حديث لنفسك بأن تتركب عملاً مخالفاً لأمر الله، فاعلم أن ذلك من عمل الشيطان وجنده، فهم يريدونك أن تتراجع عمّا اشترطه على نفسك، فالعنهم واستعذ بالله من شرهم، واخرج تلك الوسوس الباطلة من قلبك، وقل للشيطان: (إني اشترطت على نفسي أن لا أقوم في هذا اليوم - وهو يوم واحد - بأي عمل يخالف أمر الله تعالى، وهو ولي نعمتي طول عمري، قد أنعم وتلطف علي بالصحة والسلامة والأمن والظاف أخرى، ولو أنني بقيت في خدمته إلى الأبد لما أدت حق واحدة منها، وعليه فليس من اللائق أن لا أفي بشرط بسيط كهذا)، وآمل - إن شاء الله - أن يصرف الشيطان، ويبتعد عنك، وينتصر جنود الرحمن.

والمراقبة لا تتعارض مع أي من أعمالك كالكسب، والسفر، والدراسة، فكن على هذه الحال إلى الليل ريثما يحين وقت المحاسبة.

وأما (المحاسبة): فهي أن تحاسب نفسك؛ لترى هل أدت ما اشترطت على نفسك مع الله، ولم تخنّ ولي نعمتك في هذه المعاملة الجزئية.

إذا كنت قد وفيت حقاً، فاشكر الله على هذا التوفيق، وإن شاء الله ييسر لك سبحانه التقدم في أمور دنيك وآخرتك، وسيكون عمل الغد أيسر عليك من سابقه، فواظب على هذا العمل فترة، والمأمول أن يتحول إلى ملكة فيك بحيث يصبح هذا العمل بالنسبة إليك سهلاً ويسيراً للغاية، وستحسّ عندها باللذة والإنس في طاعة الله تعالى، وترك معاصيه، وفي هذا العالم بالذات، في حين أن هذا العالم ليس هو عالم الجزاء، لكن الجزاء الإلهي يؤثر، ويجعلك مستمتعاً وملتذاً بطاعتك لله، وابتعادك عن المعصية.

وأعلم أنّ الله لم يكلفك ما يشقُّ عليك به، ولم يفرض عليك ما لا طاقة لك به ولا قدرة لك عليه، لكن الشيطان وجنده يصوِّرون لك الأمر وكأنَّه شاق وصعب.

وإذا حدث - لا سمح الله - في أثناء المحاسبة تهاوؤاً وفتوراً تجاه ما اشترطت على نفسك، فاستغفر الله، اطلب العفو منه، واعزم على الوفاء بكلِّ شجاعة بالمشاركة غداً، وكنَّ على هذا الحال؛ كي يفتح الله تعالى أمامك أبواب التوفيق والسعادة، ويوصلك إلى الصراط المستقيم للإنسانية»^(١).

١. الأريعون حديثاً، السيد الإمام الخميني (قد سره)، ص ٢٦-٢٧.

مقتضيات زيادة العمر

سؤال يطرح نفسه، هل هناك وسيلة أو سائل لها شأنية واقتضاء - لولا المانع -؛ لإطالة عمر الإنسان في دار الدنيا؛ ليستزيد من عمل الخير؟ أم أن عمر الإنسان محدد من أول الأمر؟

وإذا كان الجواب نعم، فكيف السبيل لتلك المقتضيات عسى الباري سبحانه وتعالى يمنّ علينا بطيلة العمر حينما نجسد تلك الآليات والوسائل؟

وفي صدد الجواب نقول: إنه نعم، هناك جملة من الأعمال لها دور المقتضي والشأنية لا العلة التامة؛ لإطالة العمر، وهو بحث من المباحث العقائدية حيث يبحث في علم الكلام، فمن شاء الوقوف على أدلة وبراهين ذلك يرجع إلى الكتب الكلامية^(١) - ولا يسعنا أن نبحثه في هذا المختصر، لأنه خارج عن غرض تأليف هذا الكتاب -، وما يهمنا أن نقف على تلك المقتضيات التي لها شأنية استزادة العمر، من خلال ما ورد في الشريعة، وإليك بعض تلك الوسائل:

١. عن رسول الله ﷺ: «مَنْ كَثُرَ عَفْوُهُ مَدَّ فِي عَمْرِهِ».^(٢)

٢. وعنه ﷺ: «أَكْثَرُ مِنَ الطُّهُورِ يَزِدُ اللَّهُ فِي عَمْرِكَ».^(٣)

٣. وعنه ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَبْسُطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيَنْسَأَ لَهُ فِي أَجَلِهِ، فَلْيَصِلْ رَحْمَتَهُ».^(٤)

١. هناك بحث قيم في هذا الموضوع بعنوان: «لكل إنسان أعلان موقوف ومحتوم»، كتبه أستاذنا الفاضل سماحة الشيخ محمد صنقور البحراني في موقعه حوزة الهدى للدراسات الإسلامية، أرجو مطالعته، فإنه مفيد جداً.

٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج ٧٢، ح ٧٤ - ح ٧٥، ص ٣٥٩.

٣. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج ٦٦، ح ٨١، ص ٣٩٦.

٤. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج ٧١، ح ٥، ص ٨٩.

٤. وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لا يزيد في العمر إلا البر». (١)

٥. عن الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ أَرَادَ الْبَقَاءَ - وَلَا بَقَاءَ -، فَلْيَبَاكِرِ الْغَدَاءَ، وَلْيَجُودِ الْحَدَاءَ، وَلْيَخْفِضِ الرَّدَاءَ، وَلْيَقِلْ غَشِيَانَ النِّسَاءِ». (٢)

٦. عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَرَوْا شِيعَتَنَا بِزِيَارَةِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّ إِيَّانَهُ يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ، وَيَمِدُّ فِي الْعَمْرِ، وَيُدْفَعُ مَدَافِعَ السُّوءِ». (٣)

٧. عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ حَسَنَتْ نِيَّتُهُ زَيْدٌ فِي عَمْرِهِ». (٤)

٨. وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ يَزِيدَ اللَّهُ فِي عَمْرِكَ، فَسِرْ أَبُوَيْكَ». (٥)

٩. وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ لحنان بن سدير: «يا ميسر، قد حضر أجلك غير مرّة، ولا مرّتين، كلُّ ذلك يؤخر الله أجلك لصلتك قرابتك، وإن كنت تريد أن يزداد في عمرك فبر شيخيك، (يعني أبويه)». (٦)

١٠ - عن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ حَسَنَ بَرَهُ بِإِخْوَانِهِ، وَأَهْلَهُ مَدَّ فِي عَمْرِهِ». (٧)

فيمكنك الاستفادة من هذه الوسائل وغيرها، وتتوي بها القربة لله تعالى، فهي من الاعمال الراجحة شرعاً، على أمل أن تتال وتصيب بذلك هدفين بسهم واحد، إطالة العمر إن شاء الله تعالى، وثوابه.

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٧٤، ح٣، ص١٦٦.

٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٥٩، ح٤٣، ص٢٦٧.

٣. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٩٨، ح١٢، ص٤.

٤. ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري ج٦، ح١٣٩٤، ص٥٤٦.

٥. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٧١، ح٨٤، ص٨١.

٦. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٧١، ح٩٦، ص٨٤.

٧. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج١، ص١٤٠.

الخاتمة

أيُّها العزيز، أرى من المناسب في ختام حديثي معك في هذا السُّفر أن ألفتَ عنايتك لأهميَّة التفكير والتأمُّل فيما قلته وذكرته، فقد تقتضي الضرورة - وأنت عازم على التَّغيير، وتصحيح مسار حياتك باتِّجاه اغتنام ما بقي من العمر - إلى مطالعة هذا الكُتَيْب ونظرائه أكثر من مرَّة.

وبناء على ما تقدَّم، أوكدُ لك على حقيقة لا ريب فيها ولا شك، وهي: إنَّ القراءة البعيدة عن إرادة العمل لا تزيد الإنسان إلا حسرة وندامة في النَّشأتين، بل إنَّ الروايات الصادرة عن المعصومين عليهم السلام لتؤكد على أنَّ ذلك من دواعي هيمنة الهمِّ والغمِّ على الإنسان في دار الدنيا قبل الآخرة، فقد ورد في نهج البلاغة، قال عليه السلام: «مَنْ قَصَّرَ فِي الْعَمَلِ ابْتَلِيَ بِالْهَمِّ، وَلَا حَاجَةَ لِلَّهِ فَيَمُنْ لِيَسَّ اللَّهُ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ نَصِيبًا»^(١).

وما سبب ذلك إلا لاستشعار الإنسان بالفشل عن تحقيق أهدافه وغاياته، ومن جرَّاء تركه لما يعلم يقيناً بأنَّ الرُّشد والصلاح رهن القيام بالعمل الذي تكاسل عنه، فارجع أيُّها العزيز، إلى ماضيك القريب أو البعيد، وانظر وتأمل في أسباب هيمنة الهمِّ عليك في تلك الفترة، فإنِّي على يقين بأنك توافقني الرَّأي حينها بأنَّ منشأ ذلك كان العزوف والتكاسل عن القيام بما ينبغي القيام به.

١. بحار الأنوار ٧٨/١٩١.

إِذَا، السَّبِيلُ الْأَوْحَدُ لِرَفْعِ الْهَمِّ وَالْغَمِّ النَّاتِجِينَ عَنِ الْكَسَلِ، هُوَ مِنْ خِلَالِ الْقِيَامِ بِأَمْرَيْنِ مَهْمَيْنِ:

١. تفعيل الإرادة، وشحذ الهمم فيما نرجو منه الخير والسعادة في النشاطين، وذلك بالسَّعي نحو محاربة واستئصال لصوص العمر المتقدمة، فيكفي ما سرقوه من أعمارنا الماضية، وما خسرناه من رؤوس أموالنا بها.

٢. استثمار بذور العمر المتقدمة أيضًا؛ لِجَنِّي ثمارها في القريب العاجل - إن شاء الله تعالى -، فنعيش البهجة والسرور الدائمين، فلا الهمُّ والغمُّ اللذان يفضيان إلى تقاعسنا.

ويكفينا حافزًا للقيام بهذين الأمرين ما ذكرناه آنفًا من عظيم لطف الله تعالى بنا، فإنه ما أن يجد سبحانه تلك العزيمة الراسخة فينا لتغيير بوصلة حياتنا باتجاهه إلا ويغير كل سيئاتنا الماضية إلى حسنات، فلنقاه دون معصية أو ذنب، وكأنما استثمرنا كل لحظات حياتنا، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١).

وختامًا: أرجو منكم أيها الكريم، أن لا تَسْنِي من صالح دعائك في خلواتك؛ كي يوفِّقني الباري للعلم والعمل الصالح، ويجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وبدوري سأدعو لكل المؤمنين بذلك لا سيما قراء هذا الكتيب.

هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١. الفرقان، آية ٧٠.

والحمد لله رب العالمين.

ولقد تمَّ الانتهاء من هذا الكتاب في يوم ولادة خير البشر رسولنا الكريم محمَّد بن عبد الله ﷺ ، المصادف لـ ١٧ ربيع الأول ١٤٣٤ هـ.

المصادر والمراجع

نوع المصدر أو المرجع	الرقم
القرآن الكريم	
الأحاديث والأدعية	
عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، الطبعة الأولى، دار الحديث.	١
نهج البلاغة، خطب الإمام علي <small>عليه السلام</small> ، شرح الشيخ محمد عبده، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ١٣٧٠ ش، دار النخائر، قم - إيران.	٢
الأربعون حديثاً، السيد الإمام الخميني، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان.	٣
ميزان الحكمة، تأليف الشيخ محمد الري شهري، معاصر، الطبعة: الأولى، مطابع ومركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة.	٤
مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تأليف الميرزا حسين النوري الطبرسي، المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ، تحقيق مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، الطبعة المحققة الأولى ١٤٠٨ هـ، نشر مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، بيروت - بيروت.	٥
روضة المتقين في شرح ما لا يحضره الفقيه، تأليف العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، المتوفى سنة ١١١١ هـ، تحقيق: نمقه وعلق عليه وأشرف على طبعه «السيد حسين الموسوي الكرمانى، والشيخ علي پناه الإشتهاردي»، الناشر: بنياد فرهنگ إسلامي حاج محمد حسين كوشانپور.	٦

٧	<p>- بحار الأنوار، تأليف العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، المتوفى سنة ١١١١هـ، الطبعة الثانية المصححة سنة ١٤٠٢هـ، نشر مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.</p> <p>- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، تحقيق: السيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي، الطبعة: الثالثة المصححة، سنة الطبع: ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣ م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.</p>
٨	<p>عيون الحكم والمواظ، المؤلف: الشيخ كاظم الدين أبي الحسن علي بن محمد الليثي الواسطي، من أعلام الإمامية في القرن السادس الهجري، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، الطبعة: الأولى، المطبعة: دار الحديث، الناشر: دار الحديث.</p>
٩	<p>محاسبة النفس، المؤلف: العلامة الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي الكفعمي، المتوفى: سنة ٩٠٥هـ، تحقيق: الشيخ فارس الحسون، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٣هـ، المطبعة: نمونه - قم المقدسة، الناشر: مؤسسة قائم آل محمد (عج) - قم المقدسة.</p>
١٠	<p>إقبال الأعمال، السيد رضی الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، المتوفى: سنة ٦٦٤هـ، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: محرم الحرام ١٤١٦هـ، المطبعة: مكتب الإعلام الإسلامي، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي.</p>
١١	<p>ثواب الأعمال، الشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المتوفى: سنة ٣٨١هـ، تحقيق وتقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرخسان، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٣٦٨ ش، المطبعة: أمير - قم المقدسة، الناشر: منشورات الشريف الرضي، قم - إيران.</p>
١٢	<p>من لا يحضره الفقيه، الشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، التوفى: سنة ٣٨١هـ، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٤هـ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.</p>

١٣	معاني الأخبار، المؤلف: الشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المتوفى: سنة ٢٨١ هـ، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، سنة الطبع: ١٣٧٩ هـ - ١٣٣٨ ش، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة.
١٤	مكارم الأخلاق، المؤلف: الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي المشتهر بشيخ الطائفة والشيخ الطوسي، المتوفى: سنة ٥٤٨ هـ، الطبعة: السادسة، سنة الطبع: ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م، الناشر: منشورات الشريف الرضي.
١٥	مصباح المتهدج، المؤلف: الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي المشتهر بشيخ الطائفة والشيخ الطوسي، المتوفى: سنة ٤٦٠ هـ، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، الناشر: مؤسسة فقه الشيعة، بيروت - لبنان.
١٦	الأمالي، المؤلف: الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي المشتهر بشيخ الطائفة والشيخ الطوسي، المتوفى: ٤٦٠ هـ، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٤ هـ، المطبعة: الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم - إيران.
	الكافي، المؤلف: ثقة الاسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، المتوفى سنة ٣٢٨ / ٣٢٩ هـ، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٣٦٢ ش، المطبعة: حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران.
١٧	الصحيفة السَّجَّادِيَّة الكاملة، الإمام زين العابدين <small>عليه السلام</small> ، المتوفى سنة ٩٤ هـ، خط: حاج عبد الرحيم أفشاري زنجانى، ١٤٠٤ هـ - ١٣٦٣ ش، نشر مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة، طبعة حجرية.
١٨	إرشاد القلوب، الشيخ حسن بن محمد الدلمي، من أعلام القرن الثامن الهجري، تحقيق: مترجم: سيد عباس طباطبائي، الطبعة: السادسة، سنة الطبع: تابستان ١٣٨٣ ش، المطبعة: دفتر انتشارات إسلامي، الناشر: دفتر انتشارات إسلامي وابسته به جامعهء مدرسين حوزء علميهء قم.

١٩	الكتاب: روضة الواعظين، المؤلف: الفتال النيسابوري، تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخрсان، الناشر: منشورات الشريف الرضي، قم - إيران.
تاريخ، وشروح وبحوث عامّة	
١	شرح نهج البلاغة، المؤلف: الشيخ ابن ميثم البحراني، توفّي: سنة ٦٧٩ هـ، تحقيق: عُني بتصحيحه عدة من الأفاضل، وقول بعدة نسخ موثوق بها، المطبعة: چاپخانه دفتر تليفات اسلامي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: تابستان ١٣٦٢ ش، الناشر: مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي، الحوزة العلمية، قم - إيران.
٢	سيماء الصالحين، الشيخ رضا مختاري، ترجمة الشيخ حسين الكوراني، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ، دار البلاغة، بيروت - لبنان.
٣	أنت أيضًا يمكنك النجاح، السَيِّد هادي المدرسي، الطبعة الثالثة ٢٠٠٦ م، الناشران: دار العربية للعلوم، بيروت، والمركز الثقافي العربي، المغرب.
٤	قبيلة تغلب، المؤلف: الشيخ علي الكوراني العاملي، وعبد الهادي الربيعي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢١ هـ - ٢٠١٠ م، سلسلة القبائل العربية في العراق.
معاجم ولغة	
١	مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق وفصل وضبط: محمد محيي الدين عبد الحميد، سنة الطبع: ١٤٠٤ هـ، نشرات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم - إيران.

عن رسول الله ﷺ :

«مَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَقِيَ
مِنْ عَمْرِهِ لَمْ يُوَ أَخَذْ
بِمَا مَضَى مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ
أَسَاءَ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عَمْرِهِ
أَخَذَ بِالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ».

الأمامي، الشيخ الطوسي، ج ٨، ص ١١١.

نرحب بتواصلكم معنا، ويكل ملاحظتكم واقتراحاتكم،

هاتف: ١٧٥٩٢٦٧٢ ميني ٤٠، طريق ٤٨، مجمع ٤٤٤ ،
فاكس: ١٧٥٩٦٥٤٠ حلة العبد الصالح - مملكة البحرين
الإدارة التسوية: ١٧٥٩٢٦٧٣ البريد الإلكتروني: info@olamaa.net



OlamaaBH



OlamaaBH



OlamaaBH



OlamaaNet